

فَذَكِّرْ أَقْلًا إِنْ رُمِيَ الْهَدَىٰ فَالْحَلَّتْ تِلْكَ الْقُلُوبُ



الخير الكثير

فِي قَبَسَاتٍ مِّنْ

کتاب التفسیر

(الملک - الناس)

أَبُو سَلَمَانَ سِرَاجُ الْإِسْلَامِ حَنِيفٌ



المكتبة القاسمية

رُسْتُو ۰ شَارِ اُمبِيلَه ۰ مَرْدَانُ

قَدْ بَيَّنَّ الْقُرْآنُ أَنَّ رُسُلَ الْهُدَى فَالْعَلَمُ تَأْتِي الْقُرْآنُ



الْخَيْرُ الْكَثِيرُ

فِي قِبَسَاتٍ مِنْ

كِتَابِ التَّفْسِيرِ

(الملك - الناس)

أَبُو سُلَيْمَانَ سِرَاجُ الْإِسْلَامِ حَنِيفِي



أَمْلَكْتُمْ الْقَائِمِيَّةَ

رُسْتُو شَارِعِ امْبِيلِه ٠ مَرْدَانُ



کتابخانه ملی جمهوری اسلامی ایران
تاسیس ۱۳۵۷

بشکلا ایضا

ن بقت لبقة

ببقنا البق

البقا البقا

تفیکم ملک بقی

لثقیف البقا البقا

دکستان پریس سرگودھا فن ۱۵۱۰۳۶

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

اللَّهُمَّ إِنَّا نَعْبُدُكَ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ وَبِعَمَلِنَاكَ تَبْلُغُ الْحَقَّ وَنَسْتَعِينُ ،
 اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى نَبِيِّكَ الْعَرَبِيِّ الصَّادِقِ الْأَمِينِ ، وَعَلَى
 جَمِيعِ الْأَنْبِيَاءِ وَالْمُرْسَلِينَ ، وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ
 أُولَى النَّهْجِ الْقَوِيمِ ، مَا صَدَحَتِ الْوَرَقُ
 بِشَجْوَاهَا عَلَى شَجَرِهَا الْوَارِقِ الْعَلِيمِ

وبعد:

فقد لخصت في هذا المختصر
 مشكلات القرآن ، على غاية من البيان ،
 توضحياً للتفهم ، والله تعالى ينفع به انه هو
 البَرُّ الرحيم . رَبِّ يَسِّرْهُ لَنَا وَيَسِّرْهُ لَنَا . وَسَهِّلْ وَتَبَلِّغْ .

وَصَلَّى عَلَى نَبِيِّكَ مُحَمَّدٍ

[Faint handwritten signature]

الملك

فضلها :

روى الترمذى عن ابن عباس قال : ضرب رجل من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم خباءه على قبر وهو لا يحتسب أنه قبر ، فاذا قبر إنسان يقرأ سورة الملك حتى ختمها ، فأتى ابنى صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله : ضربت خيائى على قبر وأنا لا أحسب أنه قبر فاذا قبر إنسان يقرأ سورة الملك حتى ختمها ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : هى المانعة ، هى المنجية تنجيه من عذاب القبر - (ابن كثير ٤/ ٣٤٥ ، القرطبى ١٨/ ٢٠٥ ، روح المعاني ٢٩/ ٢ ، الترمذى ١١٤/ ٢)

قلت : فيه يحيى بن عمرو بن مالك النكري ، قال فيه ابن معين وابو زرعة وأبو داود والنسائي والدّ ولابى : ضعيف ، وكذب به حماد بن زيد ، وقال الامام أحمد ليس بشئ وقال الساجي : منكر الحديث (التهذيب ١١/ ٢٧٠ ، الميزان ٤/ ٣٩٩) قال الحافظ الذهبي : ومن مناكيره : عن ابن عباس : ضرب بعض الصحابة خباء على قبر ، ولا يعرف أنه قبر ، فاذا فيه إنسان يقرأ تبارك الحديث - (ميزان الاعتدال ٤/ ٣٩٩)

١ بيده الملك : أى : هو المتصرف فى جميع المخلوقات بما يشاء لا معقب لحكمه ولا يسأل عما يفعل لقهره وحكمته وعدله (ابن كثير ٤/ ٣٤٦)

٢ خلق الموت والحياة : قيل المعنى خلقكم للموت والحياة يعنى : يموت فى الدنيا والحياة فى الآخرة ، وقدم الموت على الحياة ، لأن الموت إلى القهر أقرب ، كما قدم البنات على البنين فقال : يهب لمن يشاء إناثاً ، وقيل : قدمه لأنه أقدم ، لأن الأشياء فى الابتداء كانت فى حكم الموت كالنطفة والتراب ونحوه (القرطبى ١٨/ ٢٠٧)

٣ اَيْكُمُ أَحْسَنُ عَمَلًا : أَيْ : خَيْرُ عَمَلٍ كَمَا قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ عَمَلَانَ
وَلَمْ يَقُلْ : أَكْثَرُ عَمَلًا (ابن كثير ٤/ ٣٤٦) أَيْ : أَصَوْبُهُ وَأَخْلَصُهُ فِيمَا زَيْكُمُ
عَلَى مَرَاتِبٍ مُتَفَاوِتَةٍ حَسَبَ تَفَاوُتِ مَرَاتِبِ أَعْمَالِكُمْ (روح المعاني ٥/ ٢٩)

٣ مَا تَرَى فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِنْ تَفَاوُتٍ : وَالْمَعْنَى : مَا تَرَى
فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ اعْوْجَاجَ وَلَا تَنَاقُضَ وَلَا تَبَايُنَ ، بَلْ هِيَ مُسْتَقِيمَةٌ مُسْتَوِيَّةٌ دَالَةٌ
عَلَى خَالِقِهَا ، وَإِنْ اِخْتَلَفَتْ صُورُهُ وَصِفَاتُهُ (القرطبي ١٨ / ٢٠٨)

٤ يَنْقَلِبُ إِلَيْكَ الْبَصَرُ خَاسِئًا : أَيْ : خَاشِعًا صَاحِرًا مُتَبَاعِدًا
عَنْ أَنْ يَرَى شَيْئًا مِنْ ذَلِكَ ، يُقَالُ : خَسَأَتِ الْكَلْبُ أَيْ : أَبْعَدَتْهُ وَطَرَدَتْهُ ،
خَسَأَ الْكَلْبُ بِنَفْسِهِ ، يَتَعَدَّى وَلَا يَتَعَدَّى ، وَانْخَسَأَ الْكَلْبُ أَيْضًا ، وَخَسَأَ بَصَرُهُ خَسَأًا
وَخُسُوءًا أَيْ : سُدُورًا (أَيْ : لَمْ يَكِدْ يَبْصُرْ) وَمِنْهُ قَوْلُهُ تَعَالَى : يَنْقَلِبُ إِلَيْكَ الْبَصَرُ
خَاسِئًا وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ : الْخَاسِئُ : الَّذِي لَمْ يَرِ مَا يَهْوَى . (القرطبي ١٨ / ٢٠٩)

٥ وَهُوَ حَسِيرٌ : أَيْ : قَدْ بَلَغَ الْغَايَةَ فِي الْإِعْيَاءِ ، فَهُوَ بِمَعْنَى فَاقِلٍ
مِنَ الْحُسُورِ الَّذِي هُوَ الْإِعْيَاءُ ، وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ مَفْعُولًا مِنْ حُسْرِهِ : بُعِدَ
الشَّيْءُ ، وَهُوَ مَعْنَى قَوْلِ ابْنِ عَبَّاسٍ ، وَمِنْهُ قَوْلُ الشَّاعِرِ :
مَنْ مَدَّ طَرْفًا إِلَى مَا فَوْقَ غَايَتِهِ
ارْتَدَّ خَسَانٌ مِنْهُ الطَّرْفُ قَدْ حُسِرَا

يُقَالُ : قَدْ حُسِرَ بَصَرُهُ يَحْسُرُ حُسُورًا أَيْ : كَلَّ وَانْقَطَعَ نَظَرُهُ مِنْ طَوْلِ مَدْيٍ وَمَا
أَشْبَهَ ذَلِكَ ، فَهُوَ حَسِيرٌ وَحُسُورٌ أَيْضًا (القرطبي ١٨ / ٢١٠)

٥ وَجَعَلْنَاهَا رَجُومًا : أَيْ : جَعَلْنَاهَا شَهَبِيهَا ، فَخَذَفَ الْمَضَافُ
دَلِيلَهُ : رَأَى مَنْ خَطَفَ الْخَطْفَةَ فَأَتْبَعَهُ شَهَابٌ ثَاقِبٌ (المصنفات ١٠ / ٣٤)
وَعَلَى هَذَا فَالْمَصَابِيحُ لَا تَتَرَدَّدُ وَلَا يَرْجَمُ بِهَا ، وَقِيلَ : إِنَّ الضَّمِيرَ رَاجِعٌ إِلَى الْمَصَابِيحِ
عَلَى أَنَّ الرَّجْمَ مِنَ الْنَفْسِ الْكَوَاكِبِ ، وَلَا يَسْقُطُ الْكَوَكَبُ نَفْسَهُ ، إِنَّمَا يَنْفَصِلُ مِنْهُ
شَيْءٌ يَرْجَمُ بِهِ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَنْقُصَ ضَوْؤُهُ وَلَا صَوْرَتُهُ ، قَالَهُ أَبُو عَلِيٍّ (القرطبي ١٨ / ٢١١)

١٢ **يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ** : أى : يخافون عذابه غائباً عنهم ، أو غائبين عنه ، أو عن أعين الناس غير موائين أو بما خفى منهم وهو قلوبهم (روح المعاني ١٤ / ٢٩)

١٣ **أُؤْمِنْتُمْ مَن فِي السَّمَاءِ** : قد توضع العرب (في) موضع (على) قال الله تعالى : فسيجوا في الأرض (البقرة ٢ / ٩) : أى : على الأرض . وقال : ولأصلبتكم في جذوع النخل (طه ٢٠ / ٤١) : أى : على النخل ؛ وقال : فامشوا في مناكبها (الملك ١٥ / ٧٤) : أى : على مناكبها ، فكذلك قوله : مَن فِي السَّمَاءِ الملك ١٤ / ١٧ (١٤ / ٧٤) : أى : مَن على العرش ، كما صحت الأخبار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم (تختصر العلو للعلو الغفار / ٢٤٤ ، ٢٥٣ ، ٢٥٤ ، ٢٨٢) والأخبار في هذا الباب كثيرة صحيحة منتشرة ، مشيرة إلى العلو ، لا يدفعها إلّا ملحد أو جاهل معاند (القرطبي ١٨ / ٣١٤)

٣. **مَعِين** : أى : ظاهر ثراه العيون ؛ فهو مفعول ، وقيل : هو من معن الماء أى : كثر ، فهو على هذا فعيل (القرطبي ١٨ / ٢٢٢) ؛ روح المعاني ٢٩ / ٢٥٥

القلم

١ : أخرجه ابن جرير ٩/٢٩ بسنده عن أبي طبيان عن ابن عباس

وكذا البيهقي في الدر المنثور عن عبد بن حميد وابن المنذر عن ابن جرير :
أول ما خلق الله من شيء القلم فجري بما هو كائن ثم رفع بخار الماء فخلقت
منه السموات ثم خلق النون (أى : الحوت) ، فبسطت الأرض على ظهر النون ففكرت
الأرض فمادت فأثبتت بالجبال ، فإن الجبال لتفخر على الأرض ، قال : وقرأ : ن
والقلم وما يسطرون ، وأنظر أيضاً معالم التنزيل ٧ / ١٢٨ .

قلت : في سنده قابوس بن أبي طبيان ، كان ابن معين شديداً الحط عليه
قال أبو حاتم : لا يحتج به ، قال النسائي : ليس بالقوى ، قال ابن حبان :
ردى الحفظ يتفرد عن أبيه بما لا أصل له ، فربما رفع المرسل ، وأسنده
الموقوف ، ومن منكره : عن قابوس عن أبيه عن ابن عباس : أن رسول الله
صلى الله عليه وسلم فرج بين فخذى الحسن وقيل زبيبتة (ميزان الاعتدال ٣/٣٦٤)
وفيه أيضاً الجريح : عبد الملك بن عبد العزيز ، قال فيه ابن عبد الحكم : سمعت الشافعي
يقول : استمتع ابن جريح بتسعين امرأة حتى أنه كان يحتقن في الليلة بأوقية
شيرج طباً للجماع (تذكرة الحفاظ ١/١٤٠ ، ١٤١) قال عبد الله بن أحمد بن حنبل :
قال أبو : بعض هذه الأحاديث التي كان يرسلها ابن جرير موضوعة ، كان ابن
جريح لا يبالي من أين يأخذها (ميزان الاعتدال ٢/٤٥٩)

قال أبو حيان : لا يصح شيء من ذلك (البحر المحيط ٨/٣٠٤)

١ : والقلم : أقسم بالكتاب وآلته ، وهو القلم الذي هو إحدى
آياته وأول مخلوقاته الذي جرى به قدره وشرعه ، وكتب به الوحى وتيد به
الدين ، وأثبتت به الشريعة وحفظت به العلوم ، وقامت به مصالح العباد في

المعاش والمعاد ، فوطدت (أى : قويت وثبتت) به الممالك وأمنت به
السبل والمسالك ، وأقام فى الناس أبلغ خطيب وأفصح وأفصحهم وأفصح
وواعظاً تشفى مواضع القلوب من السقم ، وطيباً يبرىء به ذنوبه من أنواع الألف
يكره الصاكر العظيمة على أنه الضعيف الوحيد ، ويخاف سطوته وبأسه ذوالياً من
الشديد ، وبالارقام تدبر الأقاليم وتساو الممالك . والقلم لسان الضمير بناجيته
يما استترقن الأسماع فينبج حلل المعاني فى الطرفين فتعود من الوشى المرقوم و
يودعها حكمه فتصير بوارى الفهوم ، والأقلام نظام الأفهام ، وكما أن اللسان يريد
القلب فالقلم يريد اللسان ، وتولد الحروف المسموعة عن اللسان كتولد الحروف المكتوبة
عن القلم ، والقلم يريد القلب ورسوله وترجمانه ولسانه الصامت ، والأقلام متفاوته
فى المرتب :

(١- فأعلاها وأجلها قدر القلم القدس السابق الذى كتب الله به مقادير
الخلائق ، كما فى سنن أبى داود عن عبادة الصامت قال : سمعت رسول الله صلى
الله عليه وسلم يقول : إن أول ما خلق الله القلم فقال له : اكتب ، قال : يا
رب وما أكتب ؟ قال : أكتب مقادير كل شيء حتى تقوم الساعة ، واختلف العلماء
هل القلم أول المخلوقات أو العرش ؟ على قولين ، ذكرهما المحافظ أبو يعلى
الهمداني : أصحهما أن العرش قبل القلم لما ثبت فى الصحيح من حديث عبد الله بن
عمر ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : قدّر الله مقادير المخلوق قبل أن
يخلق السماوات والأرض بخمسين ألف عام ، عرشه على الماء ، فهذا أصح أن القلم
وقع قبل خلق العرش ، والتقدير وقع عند أول خلق القلم لحديث عبادة هذا ،
ولا يخلو قوله : إن أول ما خلق الله القلم إلى آخره ، إما أن يكون جملة أو
جملتين ، فإن كان جملة — وهو الصحيح — كان معناه أنه عند أول خلقه
قال له : اكتب ، كما فى لفظ : أول ما خلق الله القلم قال له اكتب ، ينصب أول
والقلم ، فإن كان جملتين وهو مروي برفع أول والقلم ، فيتعين جملة على

أنه أول المخلوقات من هذا العالم، ليتفق الحديثان، إذ حديث عبد الله بن عمر صريح في أن العرش سابق على التقدير، والتقدير مقارن المخلق القلم، وفي اللفظ الآخر: لما خلق الله القلم قال له: اكتب؛ فهذا القلم أول الأقلام وأفضلها وأجلها، وقد قال غير واحد من أهل التفسير إنه القلم الذي أقسم الله به.

٢- القلم الثاني: قلم الوحي، وهو الذي يكتب به وحى الله إلى أنبيائه ورسله، وأصحاب هذا القلم هم الحكام على العالم، والعالم خدم لهم، وإليهم الحل والعقد، والأقلام كلهم خدم لأقلامهم، وقد رفع النبي صلى الله عليه وسلم ليلة الإسراء إلى مستوى يسبح فيه صريف الأقلام (أى: صوتها أثناء الكتابة) فهذه الأقلام هي التي تكتب ما يوحى الله تبارك وتعالى من الأمور التي يدبرها أمر العالم العلوي والسفلي.

٣- والقلم الثالث: قلم التوقيع عن الله ورسوله، وهو قلم الفقهاء والمفتين، وهذا القلم أيضا حاكم غير محكوم عليه، فإليه التحاكم في الدمار والأموال والفروج والحقوق، وأصحابه مخبرون عن الله بحكمه الذي حكم به بين عباده، وأصحابه حكام وملوك على أبواب الأقلام، وأقلام العالم خدم لهذا القلم.

٤- والقلم الرابع: قلم طب الأيدان، التي تحفظ بها صحتها الموجودة وترد إليها صحتها المفقودة وترفع به عنها آفاتهما وعوارضهما المضادة لصحتها، وهذا القلم أنفع الأقلام بعد قلم الأديان، وحاجة الناس إلى أهله تلتحق بالضرورة.

٥- القلم الخامس: قلم التوقيع عن الملوك ونوابهم وسياس الملوك، وهذا كان أصحابه أعز أصحاب الأقلام، والمشاركون الملوك في تدبير الدول فإن صلحت أقلامهم صلحت المملكة وإن فسدت أقلامهم فسدت المملكة، وهم وسائط بين الملوك ورعاياهم.

٦- القلم السادس : قلم الحساب ، وهو القلم الذي تضبط به الأموال ، مستخرجها ومصرفها ومقاديرها ، وهو قلم الأرزاق ، وهو القلم الكف المتصل والمنفصل ، الذي تضبط به المقادير وما بينهما من التفاوت والتناسب ، وميناه على الصدق والعدل ، فاذا كذب هذا القلم وظلم فسد أمر المملكة .

٧- القلم السابع : قلم الحكم الذي تثبت به الحقوق وتنفذ به القضايا وتراق به الدماء (أى : يحكم بالقتل) ، وتؤخذ به الأموال والحقوق وتنقطع به الخصومات ، وبين هذا القلم وقلم التوقيع عن الله عموم وخصوص ، فهذا له النفوذ والجزوم ، وذلك له العموم والشمول ، وهو قلم قائم بالصدق فيما يشتهر وبالعقل فيما يمتنع .

٨- القلم الثامن : قلم الشهادة ، وهو القلم الذي تحفظ به الحقوق وتبان عن الإضاعة ، وتحول بين الفاجر وإنكاره ، ويصدق الصادق ويكذب الكاذب ، ويشهد للمحق بحقه وعلى المبطل بباطله ، وهو الأمين على الدماء والفروج والأموال والألناس والحقوق ، متى خان هذا القلم فسد العالم أعظم فساد ، وباستقامته يستقيم أمر العالم ، وميناه على العلم والكتمان .

٩- القلم التاسع : قلم التغيير ، وهو كاتب وحى المنام وتفسيره وتغييره وما أريد منه ، وهو قلم شريف جليل مترجم بلوحي المنامى ، كاشف له ، وهو من الأقلام التي تصلح لدينيا والدين ، وهو يعتمد طهارة صاحبه ونزاهته وأمانته وتحرّيه للصدق والطرائق الحميدة والمناجح السديدة مع علم راسخ وصفاء باطن ، وحسن مؤيد بالنور الإلهي ومعرفة بأحوال الخلق وهياتهم وسيرهم ، وهو من أطف الأقلام وأعما جولانا وأوسعها تضرنا وأشدها تثبتا (أى : تلقيا) ، بإسائر الموجودات : علويها وسفليها ، وبأماضى الحال والمستقبل ، تعرف هذا القلم فى المنام هو محل ولايته وكرسى مملكته وسلطانه .

١٠- القلم العاشر : قلم تواريخ العالم وقائمه ، وهو القلم الذي تضبط

به الحوادث وتنقل من أمة إلى أمة، ومن قرن إلى قرن فيحصر ما مضى من العالم وحوادثه في الخيال، وينقشه في النفس، حتى كأن السامع يرى ذلك ويشهده، فهو قلم المعاد الروحاني، وهذا القلم قلم العجائب فإنه يعيد لك العالم في صورة الخيال فترة بقلبك وتشاهده ببصيرتك.

(١) - القلم الحادي عشر: قلم اللغة وتفاصيلها من شرح معاني الفاظها ونحوها وتفسيرها وأسرار تركيبها وما يتبع ذلك من أحوالها ووجوهها وأنواع دلالتها على المعاني وكيفيه الدلالة، وهو قلم التعبير عن المعاني باختيار أحسن الألفاظ وأعذبها وأسهلها وأوضحها، وهذا القلم واسع النصرف جداً بحسب سعة الألفاظ وكثرة مجازيها وتنوعها.

(٢) - القلم الثاني عشر: القلم الجامع، وهو قلم الرد على المبطلين ورفع سنة المحققين وكشف أيا طيل المبطلين على اختلاف أنواعها وأجناسها وبيان تناقضهم دلتها فتهم وخرجهم عن الحق ودخلهم في الباطل، وهذا القلم في الأقدام نظير الملوك في الأنعام، وأصحابه أهل الحجة، الناصرون لما جاءت به الرسل، المحاربون لأعدائهم، وهم الداعون إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة، المجادلون لمن خرج عن سبيله بأنواع الجدال، وأصحاب هذا القلم حرب لكل مبطل وعدو لكل مخالف للرسول، فهم في شأن، وغيرهم من أصحاب الأقلام في شأن.

فهذه الأقلام التي فيها انتظام مصالح العالم، ديكلي في جلالة القلم أنه لم تكتب كتب الله إلا به، وأنت الله سبحانه أقسم به في كتابه، وتعرف إلى غيره بأن علم بالقلم، وإنما وصل إلينا ما بعث به نبيتنا صلى الله عليه وسلم بواسطة القلم.

(التبيان في أقسام القرآن / ٢٥٤ - ٢٤١)

٢ ما أنت بنعمة ربك بمجنون: قد اختلف في تقدير الآية فقالت فرقة: الباء في (بنعمة ربك) باء القسم، فهو قسم الآخر، اعتراض بين المحكوم به والمحكوم عليه، كما تقول: ما أنت يا الله بكاذب، وهذا التقدير ضعيف جداً، لأنه

قد تقدّم القسم الأول، فكيف يقع القسم الثاني في جوابه ؟ ولا يحسن أن تقول:
والله ما أنت بالله بقائم، فليس هذا من فصيح الكلام ولا عهد في كلامهم.
وقالت فرقة: العامل في (بنعمة ربك) أداة معنى النفي، والمعنى: أنفي عنك
المجنون بنعمة ربك. ورد أبو عمر بن الحارث وغيره هذا القول بأن الحروف
لا تعمل معانيها، وإنما تعمل ألقاطها.

وقال الزمخشري (٤-٥٨٤)، يتعلق (بنعمة ربك) بمجنون) منفيًا، كما يتعلق بعاقل
مثبتًا في قولك: أنت بنعمة الله عاقل، يستويان في ذلك الاثبات والنفي استواء
في قولك: ضرب زيد عمرًا، وما ضرب زيد عمرًا، يعمل الفعل مثبتًا
ومنفياً إعمالاً واحداً، وعمله النصب على الحال أي: ما أنت بمجنون منعماً
عليك بذلك، ولم تمنع الباء أن يعمل مجنون فيما قبله، لأنها زائدة لتأكيد النفي
واعترض عليه بأن العامل إذا تسقط على محكوم به وله معمول فانه يجوز فيه
وجهان: (١) نفي ذلك المعمول فقط نحو قولك: ما زيد يذهب مسرعاً،
فانه ينتفي الإسراع دون القيام، ولا يمنع أن يثبت له ذهاب في غير اسراع.
(٢) ينفي المحكوم به، فينتفي معموله بانتفائه، فينتفي الذهاب في هذه الحال،
فينتفي الإسراع بانتفائه، فاذاً جعل (بنعمة ربك)، معمولاً بمجنون لزم أحد
الامرئين، وكلاهما منتف جزماً.

وهذا الاعتراض هنا فاسد، لأن المعنى إذا حصل ما أنت بمجنون منعماً عليك لزم
من صدق هذا الخبر فيها قطعاً، ولا يصح نفي المعمول وثبوت العامل في هذا الكلام،
ولا يفهم منه من له آلة الفهم، وإنما يفهم الآدمي من هذا الكلام أن المجنون
انتفى عنك بنعمة الله عليك، وانتفى عنا ما نفهمه هذا المعترض بنعمة الله علينا.

(البيان في أقسام القرآن / ٢٧٣ - ٢٧٥)

وإنّ لك لأجرًا غير ممنون: أخير سبحانه عن كمال جالتي
نبيه صلى الله عليه وسلم في دنياه وأخراه فقال: وإنّ لك لأجرًا غير ممنون

أى : غير مقطوع ، بل هو دائم مستمر ، ونحو الأجر تنكير تعظيم ، كما قال
إن في ذلك لآية (الشعراء ٨/٢٦) ، وإن له عوناً لنزله وحسن مآب
(ص ٢٨/٤٠) ، إن في ذلك لذكرى (الزمر ٢١/٣٩) ، إن للمتقين
مغزاً (النبا ٣١/٧٨) ، إن في ذلك لعبرة (النازعات ٢٦/٧٩) ، وإنما
كان التنكير للتعظيم ، لأنه صور السامع بمنزلة أمر عظيم لا يدركه الوصف ولا يناله

التغيير (البيان ٢٧٥/٢٧٥)

٤ **وانك لعلى خلق عظيم** : هذه من أعظم آيات نبوته ورسالته
لمن منحه الله فهماً ، ولقد سئلت ١٦ المؤمنين عن خلقه صلى الله عليه وسلم
فأجاب بما شفى وكفى ، فقالت : كانت خلقه القرآن ، فهم سألها أن يقوم لا
يسألها شيئاً بعد ذلك ، ومن هذا قال ابن عباس وغيره : أى : على دين عظيم ،
وسمى الدين خلقاً ، لأنَّ الخلق هيئة مركبة من علوم صادقة وإرادات ذكية
وأعمال فاعرة وباطنة ، موافقة للعدل والحكمة والمصلحة ، وأقوال مطابقة
للحق ، تصدر تلك الأقوال والأعمال عن تلك العلوم والإرادات ، فتكتسب النفس
بها أخلاقاً ، هي أُنكى الأخلق وأشرفها وأفضلها ، فهذه كانت اخلاق رسول الله صلى
الله عليه وسلم المقتضية من مشكاة القرآن ، فكان كلامه مطابقاً للقرآن تفصيلاً
له وتبييناً ، وعلومه علوم القرآن ، وإرادته وأعماله ما أوجبه وندب إليه القرآن
وإعراضه وتركه لما منع منه القرآن ورغبته فيما رغب فيه ، وزهوه فيما زهد
فيه ، وكراهته لما كرهه ، ومحبته لما أحببه ، وسعيه في تنفيذ أوامره وتبليغه
والجهاد في إقامته ، فترجت أم المؤمنين كمال معرفتها بالقرآن وبأمر رسول
صلى الله عليه وسلم ، وحسن تغييرها عن هذا كله بقولها : كان خلقه القرآن ،
وفهم هذا السائل لها عن هذا المعنى ، فاكتمى به واشتفى (البيان في أقسام القرآن ٣٤٥/٣٤٥)

٥ **بايكم المفتون** : قد اختلف في تقديره فقال أبو عثمان المازني ،
هو كلام مستأنف ، والمفتون عنده مصدر ، أى : بايكم الفتنة ، والاستفهام عن

أمر دأربين اثنين قد علم انتفاؤه عن أحدهما قطعاً فعين حصوله للآخر والمجهر على خلاف هذا التقدير، وهو عندهم متصل بما قبله، لهم فيه أربعة أوجه: (١) أن الباء زائدة، والمعنى: أيكم المفتون؟ أى: الذى فتن بالجنون كقوله تعالى: تنبت بالدهن المؤمنون (٢٠/٢٣) وقوله: يشرب بها عباد الله.

(الإنسان ٤٦/٤٦) وزيدت فى المبتدأ كما زيدت فى قولك: يحبك أن تفعل، قاله أبو عبيد وقادة والأخفش. (٢) أن المفتون بمعنى الفتنة، والياء ليست بزيادة أى: سبصرو ويصرون بأبيكم الفتنة، والياء على هذا ليست بزيادة، قاله الأخفش، فهو مصدر على وزن المفعول ويكون معناه: المفتون، كما قالوا: ما لفلان مجلود ولا معقول أى: عقل ولا جلادة (٣) أن المفتون مفعول على يابه، ولكن هنا مضاف محذوف، تقديره: بأبيكم فتون المفتون، وليست الباء زائدة، قاله الأخفش أيضاً. (٤) أن الباء بمعنى فى، والتقدير: فى أى فريق منكم النوع المفتون، والياء على هذا ظرفية، قاله الفراء (القرطبي ١٨/ ٢٢٩، التبيان ٢٤٤).

٩ وِدَّوَالْوَدَّهْنُ قِيدَ هُنُونٍ : أى: فهم بين هنون حينئذ، أو فهم الآن بين هنون طمعا فى إداها نك (روح المعاني ٣٠/٢٩) قال أهل اللغة: الإِدَّهَانُ هو التلبس، معناه: ودَّوَالْوَدَّهْنُ التلبس إليهم فى عملهم وعقدهم فيملكون إليك (ابن العربي ٤/ ١٨٥٥) وحقيقة الإِدَّهَانُ: إظهار المقاربة مع الاعتقاد للعداوة، فإن كانت المقاربة با لئين فهى مداهنة، وإن كانت مع سلامة الدين فهى مَدَاراةٌ أى: مدافعة (ابن العربي ٤/ ١٨٥٦) وقد ثبت أن النبى صلى الله عليه وسلم قال: مثَل المداهن فى حدود الله والقائم عليها كمثل قوم استهموا فى سفينة، فأصاب بعضهم أعلاها، وأصاب بعضهم أسفلها، فأراد الذين فى أسفلها أن يستقوا الماء على الذين فى أعلاها فنعوههم، فأرادوا أن يستقوا الماء فى أسفل السفينة، فان منعوهم نجوا، وإن تركوهم هلكوا جميعاً (ابن العربي ٤/ ١٨٥٦) وهذه الآية تدل على أن المداهنة أمر الدين حرام (المظهرى ١٠/ ٣٤).

١٨ ولا يستثنون : قال أبو صالح : كانت استثنائهم قولا لهم

سبحان الله ربنا (القرطبي ١٨ / ٢٤١)

٤٢ يوم يكشف عن ساق : عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه

قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : يكشف ربنا من ساقه فيجهد له كل مؤمن ومؤمنة ، ويبقى من كان يسجد في الدنيا رياء وسمعه ، فيذهب ليسجد فيعود ظهره طباقا واحدا (بخاري ٧٣١ / ٢ ، مسلم ١٠٢ / ١ ، مسند أحمد ١٤ / ٣ ، وكذا في سنن الرامري عن ابن عباس ٢٣٢ / ٣)

قال أبو الليث السمرقندي في تفسيره : حدثنا الخليل بن أحمد ، قال حدثنا ابن منيع ، قال حدثنا حذبة ، قال حدثنا حماد بن سلمة عن عدي بن زيد عن عمارة القرشي عن أبي بردة عن أبي موسى قال : حدثني أبي قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : إذا كان يوم القيامة مُثِّل لكل قوم ما كانوا يعبدون في الدنيا فيذهب كل قوم إلى ما كانوا يعبدون ويبقى أهل التوحيد فيقال لهم : ما تنتظرون وقد ذهب الناس ؟ فيقولون إن لنا رباً كنا نعبد في الدنيا ولم نره ، قال : وتعرفونه إذا رأيتموه ؟ فيقولون : نعم ، فيقال : فكيف تعرفونه ولم تروه ؟ قالوا : إنه لا شبهة له ، فيكشف لهم الحجاب فينظرون إلى الله تعالى فيخرون له سجداً ، وتبقى أقدامهم مثل صياحي البقر (أي : قرونها) فينظرون إلى الله تعالى فيريدون السجود فلا يستطيعون ، فذلك قوله تعالى : يوم يكشف عن ساق ويدعون إلى السجود فلا يستطيعون ، فيقول الله تعالى : عبادي ارفقوا رؤسكم فقد جعلت بدل كل رجل منكم رجلاً من اليهود والنصارى في النار ، قال أبو بردة : فحدثت بهذا الحديث عمر بن عبد العزيز فقال : الله الذي لا اله الا هو لقد حدثك أبوك بهذا الحديث ؟ فحلف له ثلاثة أيمان ، فقال عمر : ما سمعت في أصل التوحيد حديثاً صواباً إلى من هذا (القرطبي ١٨ / ٢٤٩ ، ٢٥٠)

قال الحكيم الترمذي رداً لقول من قال : المراد بالساق الشدة يوم القيامة ؛

وفي هذا قوة لأصل التعطيل؛ قال: وما ينكر هذا اللفظ ويفر منه إلا
من يفر من اليد والقدم والوجه ونحو ذلك، فعطل الصفات وعمدة
القارى ١١٤ / ١١٤ وحل الآية على الشدة لا يصلح بوجه، فان لغة القوم أن
يقال: كشف الشدة من القدم، لا كشفت عنها، كقوله تعالى: فلما كشفنا عنهم
العذاب والزحف ٤٣ / ٥٠، فالعذاب هو المكشوف، لا المكشوف عنه، وأيضا
فهناك تحدث شدة لا تزول إلا بدخول الجنة، وهنا لا يدعون إلى السجود و
الما يدعون إلى أشد ما كانت الشدة (الصواعق المرسلة ٣٤ / ١)

٨ ولاتكن لصاحب الحوت إذ نادى: قال ابن عباس:

نفاه أن يتشبه بصاحب الحوت، حيث لم يصبر صبر أدلى العزم، وها هنا سؤال
نافع، وهو أن يقال: العامل في الظرف وهو قوله (إذ نادى) لا يمكن أن يكون
المعنى عنه، إذ يصبر المعنى: لا تكن مثله في ندائه، وقد أشن الله سبحانه
عليه في هذا النداء فأجبر أنه نجاه به فقال: وذالنون إذ ذهب مغاضبا
فظن أن لن نقدر عليه فنادى في الظلمات أن لا اله إلا أنت سبحانك انى
كنت من الظالمين فاستجباله ونجينا من الغم وكذلك نبي المؤمنين،
(الانبيا ٨٢ / ٨٨)، وفي الترمذى وغيره عن النبي صلى الله عليه وسلم
أنه قال: دعوة أخى ذى النون إذ دعى بها فى بطن الحوت، ما دعى بها مكروب
إلا فرج الله عنه: لا اله إلا أنت سبحانك انى كنت من الظالمين، فلا يمكن
أن ينهى عن التشبه به في هذه الدعوة، وهى النداء الذى نادى به ربه،
وانما نهى من التشبه به في السبب الذى أفضى به إلى هذه المناذرة، و
هى مخاطبته التى أفضت به إلى حبسه فى بطن الحوت، وشدة ذلك عليه
حتى نادى ربه وهو مكظوم، والمكظوم والكاظم، الذى قد امتلأ غيظا وغصبا أو
هماً وحزناً، وكظم عليه فلم يعرضه، فان قيل: وعلى ذلك فما العامل فى الظرف؟
قيل: ما فى (صاحب الحوت) من معنى الفعل؟ فان قيل: فالسؤال بعد قائم، فانه

إذا قيد المنهى بقيد أو زمن كان دخلاً في هيز المنهى، فإن كان المعنى :
 لا تكن مثل صاحب الحوت في هذه الحال أو وهذا الوقت كان نفياً عن تلك
 الحالة، قيل : لما كان نداه مسبباً عن كونه صاحب الحوت فمنى أن يشبه
 به في الحال السكتى، ففقت به إلى صعبته الحوت وأبجأته إلى النداء، و
 هو ضعف العزيمة وعدم الصبر بحكمه تعالى، ولم يقل تعالى : ولا تكن كصاحب
 الحوت إذا ذهب مغاضباً فالتفقه الحوت فنادى، بل طوى القصة واختصرها،
 وأحال بها على ذكرها في الموضع الآخر، واكتفى بغايتها وما انتهت إليه، فإن
 قيل : فما منعك بتعويضي الظرف بنفس الفعل المنهى عنه ؟ أى : لا تكن
 مثله في ندائه وهو متلئ غيظاً وهماً وغماً، بل يكون ندائك نداء
 راضٍ بما قضى ربه عليه، قد تلقاه بالرحمن والتسليم وسعة الصدر، لانداء
 كظيم، قيل : هذا المعنى وإن كان صحيحاً فلم يقع المنهى عن التشبيه به
 في محرده، وإنما نفى عن التشبيه به في الحال السكتى حلتته على ذهابه مغاضباً
 حتى سجن في بطن الحوت، ويدل عليه قوله تعالى : فاصبر لحكم ربك، ثم
 قال : ولا تكن كصاحب الحوت أى : في ضعف صبره لحكم ربه، فإن الحالة
 السكتى نفى عنها هي عند الحالة السكتى أمر بها.

فإن قيل : ما منعك أن تصير إلى أنه أمر بالصبر لحكمه، كوفي القدرى
 الذى قدره عليه، ولا تكن كصاحب الحوت، حيث لم يصبر عليه، بل نادى وهو
 كظيم لكشفه، فلم يصبر على احتماله والسكون تحته ؟ قيل : منع من ذلك أن
 الله سبحانه أثنى على يونس وغيره من أنبيائه بسؤالهم إياه كشف ما بهم
 من ضرر، وقد أثنى عليه سبحانه بذلك في قوله : وذالنون إذا ذهب مغاضباً
 فظن أن لن نقدر عليه فنادى في الظلمات أن لا اله إلا أنت سبحانك، إنى كنت
 من الظالمين فاستجيبنا له فنجيناه من الغم وكذلك نفخى المؤمنين (الأنبياء ٢١/
 ٨٨-٨٨) فكيف ينهى عن التشبيه به فيما يثنى به عليه ويمدحه به ؟ وكذلك

[illegible]

الْحَاقَّةُ

١٢ وتعيها أذن واعية : في تفسير الشعلي عن ابن عباس قال

النبى صلى الله عليه وسلم : سألت الله ان يجعلها أذنك يا على ، وذكر
خبره من طريق أبي نعيم ، وهذه فضيلة لم تحصل لأحد غيره ، فيكون هو
المقدم . والجواب : هذا موضوع ، وقوله تعالى : لجعلها لكم تذكرة وتعيها
أذن واعية ، خطاب لنبى آدم ، لم يرد واحد من الناس ، فإن حل نوح وقومه
في السفينة من أعظم الآيات ، نعم أذن على واعية كآذان أبي بكر وعمر ومثان
وخلق من الأمة بلا ريب ، أترى أذن نبينا صلى الله عليه وسلم ليست واعية ؟
ولا أذن الحسن والحسين وعمار وأبي ذر ؟ فانتفى التفرد والأفضلية ، فكم تبني أمرك
على مقدمات واهية ؟ متلاشية كدأب الكتمك ، فما برحتم كذلك ، فما تنفق مجملكم
الآ على تلميذ أو صاحب هوى وعصبية ، وهذا يقال : ليس لرافضة عقل ولا نقل
ولادين صحيح ولادولة منصورة (المنتقى / ٤٧٧)

٣٨ فلا أقسم بما تبصرون : قال مقاتل : بما تبصرون من

الخلق وما لا تبصرون منه ، وقال قتادة : أقسم بالأشياء كلها بما يبصر وما لا
يبصر ، وقال الكلبي : تبصرون من شيء ، وما لا تبصرون من شيء . وهذا أقسم
وقع في القرآن ، فإنه يعلم العلويات والسفليات والدنيا والآخرة ، وما يرى وما لا يرى
ويدخل في ذلك الملائكة كلهم والجن والإنس ، والعرش والكرسى وكل مخلوق ، و
كل ذلك من آيات قدرته وربوبيته ، وهو سبحانه يبصر الأقسام كما يبصر الآيات
ففى ضمن هذا القسم أن كل ما يرى وما لا يرى آية ، ودليل على صدق رسوله ، و
أن ما جاء به هو من عند الله وهو كلامه ، لا كلام شاعر ولا مجنون ولا كاهن .

(التبيان فى أقسام القرآن / ٢٢١) -

٤٠ انه لقول رسول كريم : وهذا رسوله البشرى محمد صلى الله عليه

وسلم ، وفي إضافته اليه باسم الرسالة أبين دليل أنه كلام المرسل ، فمن
أنكر أن يكون الله قد تكلم بالقرآن فقد أنكر حقيقة الرسالة ، ولو كانت إضافته
اليه إضافة إنشاء ، وابتداء لم يكن رسولا ، ولنا قضا ذلك إضافته الى رسوله
المكلى في سورة التكوين : وأخبر سبحانه أنه تنزيل من رب العالمين (التبيان / ٢٢٢).

٤٥ لآخذنا منه باليمين : قال ابن قتيبة في هذا قولان : (١) أن

اليمين : القوة والقدرة ، وأقام اليمين مقام القوة ، لأن قوة كل شيء
في ميامنه ، قلت : وعلى هذا تكون اليمين من صفة الأخذ ، وهذا قول ابن عباس
في اليمين . (٢) قال : ولأهل اللغة في هذا مذهب آخر ، وهو أن الكلام ورد على
ما اعتاده الناس من الأخذ بيد من يعاقب ، وهو قولهم إذا أرادوا عقوبة رجل :
خذ بيده ، وأكثر ما يقوله السلطان والحاكم بعد وجوب الحكم : خذ بيده واسفع
بيده ، فكأنه قال : لو كذب علينا في شيء مما بلغ اليكم عنا لآخذنا بيمينه ، ثم
عاقبناه بقطع الوتين ، وإلى هذا المعنى ذهب الحسن . فقد أخبر سبحانه أنه لو
تقول عليه شيئا من الأقاويل لما أمره ، ولعاجله بالعقوبة ، فإن كذبا على
الله ليس ككذب على غيره ، ولا يليق به أن يقر الكاذب عليه فضلا عن أن ينصره
ويؤيده ويصدق له . (التبيان في أقسام القرآن / ٢٣٠ ، ٢٣١)

٤٦ ثم لقطعنا منه الوتين : الوتين : نياط القلب ، وهو عرق يجري

في الظهر حتى يتصل بالقلب ، إذا انقطع بطلت القوى ومات صاحبه ، هذا قول جميع
أهل اللغة ، قال ابن قتيبة : ولم يرد أننا نقطع ذلك العرق بيمينه ، ولكنه
أراد : لو كذب علينا لآمتناه أو قتلناه ، فكان كمن قطع وتينه ، قال : و
مثله قوله صلى الله عليه وسلم : ما زالت أكلة خيبر تعاودني ، وهذا أو ان
قطعت أيمري ، والأبهر : عرق يتصل بالقلب ، فإذا انقطع مات صاحبه ، فكأنه قال :
فهذا أو ان قتلني السم ، فكنت كمن انقطع أيمره . (التبيان / ٢٣١) ٥

المَعَارِج

١٧ تدعو من أدبر وتولى : أى : تدعو لظن من أدبر في

الدنيا عن طاعة الله في تولى عن الايمان ، ودعاؤها أن تقول : ائى يا

مشتكى ، ائى يا منافق ، وقال ابن عباس : تدعو الكافرين والمنافقين بأسمائهم

بلسان فصيح ، ثم تلفظهم كما يلتقط الطير الحب (القرطبي ٢٨٩/١٨) ليد

نكده وهذه استعارة ، والمراد بدعائها من أدبر وتولى والله أعلم : أنه

لما استحقها بإدباره عن الحق صارت كأنها تدعوها إليها وتسوقه نحوها ،

وعلى ذلك قول ذي الرمة في صفة الثور : يا هاهنا لا تهاجرك يا هاهنا لا تهاجرك

يا هاهنا لا تهاجرك يا هاهنا لا تهاجرك يا هاهنا لا تهاجرك يا هاهنا لا تهاجرك

والريب : جمع ريب ، وهى نيت من نبات الصيفا ، يقول : لما وجد ريب الريب

مضى نحوها فكأنها دعته إلى أكلها (تلخيص البيان ٢٥٠) على ما

وقد يجوز أيضاً أن يكون المراد بذلك : أنها لا يفوتها ذاهب ، ولا

يعجزها طارب ، فكأنها تدعو الطارب منها فيجيبها ، مداً له بأسبابها ،

ورداً له إلى عذابها (تلخيص البيان ٢٥٠) بقوله لا يفوتها ذاهب ولا يعجزها طارب

وقال ثعلب : تدعو أى : تهلك ، تقول العرب : دعاك الله أى : أهلك

الله (القرطبي ٢٨٩/١٨) والله أعلم : أنه لا يفوتها ذاهب ولا يعجزها طارب

٤٢ فذرهم يخوضوا ويلعبوا : لما أقام عليهم الحجة

وقطع المعادة فقال : فذرهم يخوضوا ويلعبوا ، الآية ، وهذا تهديد

شديد يتضمن ترك هؤلاء الذين قامت عليهم حجتى فلم يقبلوها ولم

نوح

١٣ **ما لكم لا ترجون لله وقاراً :** (١) الرجاء هنا بمعنى الخوف ،
 أى : ما لكم لا تخافون الله عظيمة قدرته على أحدكم بالعقوبة ، أى : أى
 عذر لكم في ترك الخوف من الله ؟ (٢) قال سعيد بن جبير وأبو العالية
 وعطاء بن أبي رباح : ما لكم لا ترجون الله ثواباً ولا تخافون له عقاباً . (٣)
 وقال سعيد بن جبير عن ابن عباس : ما لكم لا تخشون الله عقاباً وترجون
 منه ثواباً (٤) وقال الواحلي والعلوي عنه : ما لكم لا تعلقون بالله عظيمة .
 (القرطبي ١٨ / ٣٠٣)

١٤ **وقد خلقكم أطواراً :** أى جعلكم في أنفسكم آية تدل
 على توحيده ، قال ابن عباس : أطواراً يعني : نطفة ثم علقة ثم مضغة ،
 أى : طوراً بعد طور إلى تمام الخلق ، كما ذكر في سورة المؤمن ١٢ / ٢٣ - ١٤
 والطور في اللغة : المرة ، أى : من فعل هذا وتكرر عليه فهو أحق أن
 تعظمه . وقيل : أطواراً : حبيباتاً ، ثم شبايا ، ثم شيوخاً وضعفاء ، وقيل :
 أطواراً أى : أنواعاً : صحيحاً وسقيماً ، بصيراً وحميراً ، وغنياً وفقيراً ، وقيل :
 إن أطواراً اختلجهم في الأخلاق والأفعال (القرطبي ١٨ / ٣٠٣ ، ٣٠٤)

١٧ **والله أنبتكم من الأرض نباتاً :** هذه استعارة ، لأن حقيقة
 الإنبات إنما تجري على ما تطلع به الأرض من نباتها ، وتخرج عند ازديادها
 ولما كان تعالى يخرج البرية من مضائق الأحشاء إلى مفاصل الهواء ويدبرهم
 من الصغر إلى الكبر ، وينقلهم من الهيئات والصور ، وكل ذلك على وجه الأرض
 جاز أن يقول تعالى : والله أنبتكم من الأرض نباتاً ، وقال بعضهم : قد يجوز
 أن يكون المراد بذلك خلق آدم عليه السلام من الطين ، وهو أصل الخليقة ،

فإذا خلقه تعالى من طين الأرض ، كان نسله مخلوقين منها ، لرجوعهم
إلى الأصل المخلوق من طينها ، فحسن أن يقول تعالى : والله أنبتكم من الأرض
نباتاً أرى : استخرجكم من طين الأرض ، ونباتاً هاهنا مصدر ، وقع مخالفاً
لما يوجب بناء فعله ، وكان الوجه أن يكون : نباتاً ، لأنه في الظاهر
مصدر أنبتكم ، وقد قيل : أن هناك فعلاً محذوفاً جرى المصدر عليه ،
فكانه تعالى قال : والله أنبتكم من الأرض فنبت نباتاً ، لأن أنبت يدل
على نبت من جهة أنه مضربه (تلخيص البيان ٢٥٢)

١٩ والله جعل لكم الأرض بساطاً : هذه استقارة ، والمراد
بالسباط هاهنا : المكان الواسع المستوي ، شبه بالسباط ، وهو النمط الذي
يهد على الاستواء فيجلس عليه . (تلخيص البيان ٢٥٢)

٢٣ وقالوا لا تذرنَّ وُدَّنا : عن ابن عباس : قال : صارت الأوثان التي
كانت في قوم نوح عليه السلام في العرب بعد ، أمّا وُدَّ كانت لكب بدومة الجندل
وأمّا سواع كانت لهذيل ، وأمّا يغوث فكانت لمراد ثم لبني غطفان بالجوف
عند سبأ ، وأمّا يعوق فكانت لهمدان ، وأمّا نمر فكانت لجمير لآل ذي
الكلاع ، أسماء رجال صالحين من قوم نوح ، فلما هلكوا وحى الشيطان إلى
قومهم أن الضوا إلى مجالسهم التي كانوا يجلسون أنصافاً وسقوها بأسمائهم
فلم تعبد حتى إذا هلك أولئك وتنسخ العلم عبادت (بخاري ٤٣٢ / ٢ ، تفسير
ابن كثير ٤ / ٣٤٢ ، البداية ١ / ١٠٥ ، ١٠٦ ، ١٩٢ ، ١٩٣ ، ١٨١ / ٢ ، غرر الخصال
للهمدان ٢ / ٢٠٤ ، معجم البلدان ٣٩٧ / ٤٣٨)

اعرقوا فادخلوا ناراً : هي نار البرزخ ، والمراد عذاب القبر -

(روح المعاني ٢٩ / ٩٠) فادخلوا ناراً في عالم البرزخ المسمى بالقبر ، فانه روضة
من رياض الجنة أو حفرة من حفرات النيران ، فهذه الآية دليل على إثبات عذاب
القبر ، لأن الفاء للتعقيب ، وصيغة ادخلوا للمضارع (المظهرى ١٠ / ٤٤) :

الجن

٣ ما اتخذ صاحبة ولا ولدًا : أي : وانهم كما نفوا عن

انفسهم الإشراف بالله ، نزهوا ربهم عن الزوجة والولد ، لأن صاحبة
تتخذ للحاجة ايما ، ولأنها من جنس الزوج ، كما قال : خلق لكم من انفسكم
ازواجًا لتكنوا اليها . (الروم ٢١/٣٠) والولد للتكثير والاستئناس به ، والحاجة
اليه حين اليك وبقاء الذكر والشجرة ، كما قال :

وكم أب عليا بن ذرا يشرف

كما علت برسول الله عدنان

والله سبحانه منزّه من ذلك ، تعالى ربنا علواً كبيراً ، والمخالصة : علام ملك
ربنا وسلطانه أن يكون ضعيفاً ، ضعف خلقه الذين تضطربهم الشهوة إلى
اتخاذ صاحبة أو ملامسة يكون منها الولد (المراعي ٩٤/٢٩)

٦ فزادوهم رهقاً : قال كردم بن أبي السائب : خرجت مع

أبي إلى المدينة أوّل ما ذكر النبي صلى الله عليه وسلم ، فأوانا المبيت
إلى راعي الغنم ، فلما انتصف الليل جاء الذئب فحمل حملاً من الغنم ، فقال الراعي :
يا عامر الوادي ، أنا جارك ، فنادى مناد : يا سحرهان أرسله ، فأق العمل يشتد .
وأنزل الله على رسوله بمكة : وأنته كان رجال من الإنس يعوذون برجال من

الجنّ فزادوهم رهقاً أي : زاد الجنّ الإنس رهقاً أي : خطيئة وإشفاقاً ،
قاله ابن عباس ومجاهد وقتادة ، والرّهق : الإثم في كلام العرب وغشيان
المحارم ، ورجل رهق إذا كان كذلك ، ومنه قوله تعالى : وترهقهم ذلّة -
ريونى ٢٧/١٠) وقال الأعشى :

لا شيء ينفعني من دون رؤيتهما و هل يشتنى وامق مالم يصب رهقاً .

يعني : ايثماً ، وأضيفت الزيادة إلى الجن إذ كانوا سبباً لها ، وقال مجاهد
أيضاً : فزادوهم أي : إن الإنس زادوا الجن طغياناً بهذا النفوذ ، حتى
قالت الجن : سدننا الإنس والجن (القرطبي ١٩/١٠ : أسد الغابة ٤/٢٣٤)
أي : فزاد الجن الإنس فياً بأن أضلّوهم حتى استعاضوا بهم ، وارتفق :

فشيان شيء ، والمراد ههنا : فشيان المحارم والإثم (المظهر ١٠/٨٦)
١٨ فلا تدعوا مع الله أحداً : هذا توبيخ للمشركين في دعائهم مع
الله غيره في المسجد الحرام ، وقال مجاهد : كانت اليهود والنصارى إذا دخلوا
كنائسهم ويبيعهم أشركوا بالله ، فأمر الله نبيّه والمؤمنين أن يخلصوا لله
الدعوة إذا دخلوا المساجد كلها ، يقول : فلا تشركوا فيها صنأً وغيره منّا
يعبد ، وقيل : المعنى أفردوا المساجد لذكر الله ولا تتخذوها هزواً ومقبراً
وجلساً ولا طرقات ولا تجعلوا لغير الله فيها نصيباً (القرطبي ١٩/٢٢)

١٩ كادوا يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا : (١) قال الزبير بن العوام : هم
الجن حين استمعوا القرآن من النبي صلى الله عليه وسلم أي : كاد يركب بعضهم
بعضاً إذا دحاً ويسقطون ، حرصاً على سماع القرآن (القرطبي ١٩/٢٣) ، (٢) قال
الحسن وقتادة وابن زيد يعني لما قام عبد الله محمد صلى الله عليه وسلم بالدعوة
تلبّدت الإنس والجن على هذا الأمر ليطفنوه ، وأبى الله إلا أن ينصره ويتم
نوره (القرطبي ١٩/٢٣ : المظهر ١٠/٩٣ : المراغي ٢٩/١٠٣)

٢٠ عالم الغيب فلا يظهر : قال العلماء : لتأتمدح سبحانه
يعلم الغيب واستأثر به دون خلقه ، كان فيه دليل على أنه لا يعلم الغيب
أحد سواه ، ثم استثنى من ارتضاه من الرسل ، فأودعهم ما شاء من غيبه
بطريق الوحي إليهم ، وجعله معجزة لهم ودلالة صادقة على نبوتهم ، وليس
المنجم ومن هنا هاه من يضرب بالحصى وينظر في الكتب ويظهر بالخير ممن
ارتضاه من رسول فيطلع على ما يشاء من غيبه ، بل هو كافر بالله ، مفتر عليه

بعدسه وتخمينه وكذبه وفيه استحلال دمه على هذا الشئيم

(القرطبي ١٩/ ٢٨ ، البحر المحيط ٨/ ٣٥٥)

٢٧ ، إله من ارتضى من رسول : (١) الاستثناء متصل أى :

إله رسول ارتضاه على بعض غيوبه المتعلقة برسالته ، كما يعرب عنه بيان من ارتضى بالرسول تعلقاتاً ، إما لكونه من مبادئ رسالته بأن يكون معجزة دالة على صحتها وإما لكونه من أركانها وأحكامها كعمامة التكليف الشرعية التى أمر بها المكلفون وكيفيات أعمالهم وأجزئتها المترتبة عليها فى الآخرة ، وما تتوقف هى عليه من أحوال الآخرة التى من جملتها قيام الساعة والبعث وغير ذلك من الأمور الغيبية التى بينها من دلائل الرسالة ، وأما ما لا يتعلق بها على أحد الوجهين من الغيوب التى من جملتها وقت قيام الساعة فلا يظهر عليه أحدٌ أبداً ، على أن بيان وقته مغل بالحكمة التشريعية التى يدور عليها فلك الرسالة (ابو السعود ٩/ ٤٧) الفتوحات الإلهية ٤/ ٢٥ ، روح المعاني ٢٩/ ١١٠ (٢) وهو من الاستثناء المنقطع أيضاً أى : لكن ، والمعنى : لكن من ارتضاه من الرسل فإنه يجعل له ملكة رهداً . (الفتوحات الإلهية ٤/ ٢٥) أنه ذكر هذه الآية عقيب قوله : ان أدري أقريب ما توعدون الآية أى : لا أدري وقت وقوع القيامة إذ هى من الغيب الذى لا يظهره الله لأحد ، وإله من ارتضى استثناء منقطع كأنه قال : فلا يظهر على غيبه المخصوص أحدٌ ، إله من ارتضى من رسول فله حفظة يحفظونه من شر مردة الإنس والجن (البحر المحيط ٨/ ٣٥٦) :

المزمل

١ **يَا أَيُّهَا الْمَزْمَلُ** : هو خطاب النبي صلى الله عليه وسلم ، وليس

المزمل باسم من أسمائه يعرف به كما ذهب إليه بعض الناس وعدده

في أسمائه ، وإنما المزمل اسم مشتق من حالته التي كان عليها حين الخطاب

وكذلك المدثر ، في خطابه بهذا الاسم فائدتان : (١) الملاحظة ، فان

العرب إذا قصدت ملاحظة المخاطب وترك المعاتبة سموه باسم مشتق

من حالته التي هو عليها كقول النبي صلى الله عليه وسلم لعلى رضي الله

عنه حين غاضب فاطمة رضي الله عنها فأثارة وهو قائم وقد لصق بجنبه

التراب فقال له : قم يا أبا تراب ، وإشعاراً أنه في عاقب عليه وملاطفة

له ، وكذلك قول النبي صلى الله عليه وسلم لحذيفة رضي الله عنه : قم

يا نومان ، وكان نائماً ملاطفة له وإشعاراً لترك العيب والتأنيب ، فقول

الله لمحمد صلى الله عليه وسلم : يا أيها المزمل قم الليل ، فيه تأنيب و

ملاطفة ليستشعر أنه في عاقب عليه . (٢) التوبيخ لكل متزمل راقب

ليله ليتنبه إلى قيام الليل وذكر الله تعالى فيه ، لأن الاسم المشتق من

الفعل يشترك فيه مع المخاطب كل من عمل بذلك العمل والتقف بتلك

الصفة ، فهاتان فائدتان (التعريف والإعلام / ١٧٧ ، ١٧٨)

٢ **قَمِ اللَّيْلَ ، إِلَّا قَلِيلًا نَصْفَهُ** : (١) قال الزجاج : (نصفه)

بدل من الليل و (إلا قليلاً) استثناء من النصف ، والضمير في (منه) و (عليه)

لنصف ، والمعنى : قم نصف ، ليل أو انقص من النصف قليلاً ، إلى الثلث أو

زد عليه قليلاً ، إلى الثلثين ، فكأنه قال : قم ثلثي ليل أو نصفه أو ثلثه

(٢) إن (نصفه) بدل من قوله (قليلاً) وكان محيراً بين ثلاث : بين

قيام النصف بتمامه ، وبين الناقص منه ، وبين قيام الزائد عليه ، كأن
تقدير الكلام : قد الليل إلا نصفه ، أو أقل من نصفه ، أو أكثر من نصفه
والقرطبي ١٩ / ٣٥ ، المراكبي ٥ / ٢٧٨

٣ ورتل القرآن ترتيلا : قال في فتح البيان : والمقصود من

الترتيل وإنما هو حضور القلب عند القراءة ، لا مجرد اخراج الحروف من
الملقوم بتعويج الوجه والفم وألحان الغناء كما يعتاده قراء هذا الزمان
من أهل مصر وغيرها في مكة المكرمة وغيرها بل هو بدعة أحدثها
البطاؤون الأكاذون والحقى ، الجاهلون بالشرائع وأدلتها الصادقة ،
وليس هذا بأول قادورة كسرت في الاسلام (المراعى ٢٩ / ١١٢)

٥ أنا سنلق عليك قولا ثقيلا : (١) أراد ثقله على

النبى صلى الله عليه وسلم حين كان يلقى به الملك اليه ، وقد سئل
كيف يأتيك ، موسى ؟ فقال : أحيانا يأتينى الملك مثل صلصلة الجرس
وهو أشده على ، فيفصم عني وقد وعيت ما قال (٢) ثقل الحمل به ،
قاله الحسن وقتادة (٣) وقد قيل : أراد ثقله في الميزان (ابن العربي
٤ / ١٨٧٦) (٤) وقيل : ثقيلا أى : ثابتا كثبوت الثقل في عمله ويكون

معناه : أنه ثابت إلا عجز ، لا يزول ، عجزه أيده القرطبي ١٩ / ٣٨

٦ إن نأشئه الليل : (١) قال العلماء : ناشئة الليل أى :

أوقاته وساعاته ، لأن أوقاته تنشأ أو لا قأولا ، يقال : نشأ الشيء ينشأ :
إذا ابتدأ وأقبل شيئا بعد شيء ، فهو ناشئ ، وأنشأه الله فنشأ ، ومنه
نشأت السحابة إذا بدأت وأنشأها الله ، فأنشئة فاعلة من نشأت تنشأ فهي
ناشئة ، ومنه قوله تعالى : أو من ينشأ في الحلية وهو في المصام غير مبين
(الزخرف ٤٣ / ١٨) والمراد : أن ساعات الليل الناشئة ، فأكفى بالوصف من
الإسم ، فالتأنيث للفظ ساعة ، لأن كل ساعة تحدث (٢) وقيل : الناشئة

مصدر بمعنى قيام الليل كالحاضنة والكاذبة أى : ان نشأة الليل هي
أشد وطأ. (٣) وقيل : ان نشأة الليل ، قيام الليل ، قال ابن مسعود
الله منه : الحبشة يقولون : نشأ أى : قام ، فلعله أراد أن الكلمة عربية ،
ولكنها شائعة في كلام الحبشة ، القوطي ١٩ / ٣٩

٧ ان لك في النهار سبعا طويلا : أى : تفرغ في هواك ، وإقبال
وإدباراً وذهاباً وجميعاً ، وقيل : السبح : الفراغ ، أى : ان لك فراغاً للحاجات
بالنهار ، والسبح : التعدد ذكره الخليل ، وعن ابن عباس ومطاء : سبعا طويلا
يعنى : فراغاً طويلاً لغوكم وراحتكم ، فاجعل ناشئة الليل لعبادتك ، وقال
الزجاج : ان فاتك في الليل شيء فلك في النهار فراغ الاستدراك (ابن العربي ٤ / ١٨٧٧
٤ / ١٨٧٧ ، القوطي ١٩ / ٤٢)

٨ وتبتل اليه بتبيل : ومعنى الآية : انقطع عن الأوثان
الأصنام ، وعن عبادة غير الله وقال مجاهد : أخلص له العبادة (ابن العربي ٤ / ١٨٧٩)
التبيل : الإلتصاف إلى عبادة الله عز وجل ، أى : انقطع بعبادتك اليه ، ولا
تشرك به غيره ، يقال : تبئت الشيء أى : قطعته ، ومنه قولهم : طلقها
بتة بتة ، وهذه صدقة بتة بتة أى : بأنة منقطعة من صاحبها
أى : قطع ملكه عنها بالكلية ، ومنه : مرجع البتول لانتطاعها إلى الله تعالى ،
(القرطبي ١٩ / ٤٤) : حاربية من لذة - تبيلها لله - فليكن لاله هذا (٣٩) .

٢٠ فاقروا ما تيسر من القرآن : فيه قولان : (١) أن المراد
به نفس القراءة (٢) أن المراد به الصلاة ، عبر عنها بالقراءة لانها فيها
كما قال (الاسراء ١٧ / ٢٨) : وقرآن الفجر ان قرآن الفجر كان مشهوداً ، وهو
الاصح ، لانه من الصلاة أخبر ، واليه يرجع القول (ابن العربي ٤ / ١٨٨١)

أما قوله : وما تيسر من القرآن : فليكن لاله هذا (٣٩) .
فليكن لاله هذا (٣٩) . فليكن لاله هذا (٣٩) .

الْمَدَّثَرُ

١ يا ايها المدثر: المدثر اصله: المتدثر، وهو الذي يتدثر

بثيابه لينام او ليستدفئ، يقال: تدثر بثوبه، والدثار اسم لما يتدثر به، ثم ادخمت التاء في الدال لتقارب هزجهما، اجمعوا على ان المدثر هو رسول الله صلى الله عليه وسلم، واختلفوا في أنه لم يسم مدثراً؟ (١) في صحيح مسام عن جابر بن عبد الله رضى الله عنهما، وكان من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يحدث قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يحدث عن فقرة الوحى، قال في حديثه: فيينا أنا أمشى سمعت صوتاً من السماء فرفعت رأسى، فاذا الملك الذى جاء فى بحراء جالساً على كرسى بين السماء والأرض قال:

فحيث (أى: ذعرت وخفت) منه فرقاً، فرجعت فقلت: ذملوني، ذملوني، قد شروني، فأنزل الله تعالى: يا ايها المدثر قم فأنذر (٢) ان المدثر بالثوب يكون كالمختفى فيه، وأنه فى غار حراء كان المختفى من الناس فكأنه قيل: يا ايها المدثر بدثار الحمول والإختفاء، قم بهذا الأمر واخرج عن ذابية الحمول واشتغل بإنذار الخلق، والدعوة الى معرفة الحق. (٣) انه تعالى جعله رحمة لتعلمين، فكأنه قيل له: يا ايها المدثر بأثواب العلم العظيم والخلق الكريم والرحمة الكاملة قم فأنذر عذاب ربك (الفرطى ٥٩/١٩، التفسير الكبير ٣٠ / ١٨٩، ١٩٠)

٣ وربك فكبر: أى: سيدك ومالكك ومصلح أمرك فعظم،

وصفه بأنه أكبر من أن يكون له صاحبة أو ولد، وفى حديث أنس قالوا: لم تفتح الصلاة؟ فنزلت: وربك فكبر أى: صفه بأنه أكبر، وهذا القول وإن كان يقتضى بعمومه تكبير الصلاة، فانه مراد به: التكبير والتقديم والتزويه

يَخْلَعُ الْأَسَدَادَ وَالْأَصْنَامَ دُونَهُ، وَلَا تَتَّخِذْ وَلِيًّا فِيزِهِ، وَلَا تَعْبُدْ سِوَاهُ، وَلَا
تَزِرْ لِعِفْرِهِ فَعَلًا، لَدُّ لَهُ وَلَا نِعْمَةَ إِلَّا مِنْهُ (ابن العربي ٤/١٨٨٦، القزطبي ١٩/٦٢١)
د وثيابك فطهر : قَالَ تَتَادَهُ وَجَاهِدْ : نَفْسَكَ فَطَهِّرْ مِنَ الذَّنْبِ،
فَكُنْ مِنَ النَّفْسِ بِالثَّوْبِ، وَهَذَا قَوْلُ إِبْرَاهِيمَ النَّخَعِيِّ وَالضَّعَّاكِ وَالسُّبِّيِّ وَ
الزُّهْرِيِّ وَالْمُحَقِّقِينَ مِنْ أَهْلِ التَّفْسِيرِ، قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ : لَا تَلْبَسْهَا عَلَى مَعْصِيَةٍ وَلَا
عَدْوٍ، ثُمَّ قَالَ : «مَا سَمِعْتُ قَوْلَ غِيْلَانَ بْنِ سَلَمَةَ الشَّعْبِيِّ :

وَأَنِّي - بِحَمْدِ اللَّهِ - لَا ثَوْبَ غَادِرٍ

لَيْسَتْ، وَلَا مِنْ عُدْوَةٍ أَوْ تَفْتَحُ :

وَالْعَرَبُ تَقُولُ فِي وَصْفِ الرَّجُلِ بِالصَّدْقِ وَالْوَفَاءِ : طَاهِرُ الثِّيَابِ، وَتَقُولُ لِلْعَادِرِ
وَالْفَاجِرِ : دَنَسَ الثِّيَابَ. وَقَالَ أَبُو بَنِي كَعْبٍ : لَا تَلْبَسْهَا عَلَى الْعَدْوِ وَالظُّلْمِ وَالْإِثْمِ
وَلَكِنْ أَلْبَسْهَا وَأَنْتَ بِرَّ طَاهِرٍ، وَقَالَ الضَّعَّاكُ : مَمْلُوكٌ فَأُصْلِحْ، قَالَ السُّدِّيُّ : يُقَالُ
لِلرَّجُلِ إِذَا كَانَ صَالِحًا : إِنَّهُ لَطَاهِرُ الثِّيَابِ، وَإِذَا كَانَ فَاجِرًا : إِنَّهُ لَمُجْبِثُ الثِّيَابِ.
وَقَالَ سَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ : وَقَلْبُكَ وَبَيْتُكَ فَطَهِّرْ، وَقَالَ الْحَسَنُ وَالْقَزْطَبِيُّ : وَخَلِّقْ فَحَسَنٌ
وَقَالَ ابْنُ سِيرِينَ وَابْنُ زَيْدٍ : «مُرْ بِتَطْهِيرِ الثِّيَابِ مِنَ النِّجَاسَاتِ، يَلْتَقِي لَا تَجُوزُ الْمَلَاةُ
مَعَهَا، لَدُنَّ الْبَشَرِ كَانُوا لَا يَتَطَهَّرُونَ وَلَا يَطْهَرُونَ ثِيَابَهُمْ، وَقَالَ طَاوُوسٌ :
وَثِيَابُكَ فَقَصِّرْ، لَدُنَّ تَقْصِيرِ الثِّيَابِ طَهْرَةٌ لَهَا، وَالْقَوْلُ الْأَوَّلُ أَصَحُّ الْأَقْوَالِ،
وَلَا يَرِيبُ أَنَّ تَطْهِيرَهَا مِنَ النِّجَاسَاتِ وَتَقْصِيرَهَا مِنْ جِلَّةِ التَّطْهِيرِ الْمَأْمُورِ بِهِ، إِذْ بِهِ
تَنَامُ إِصْلَاحُ الْأَعْمَالِ وَالْأَخْلَاقِ، لَدُنَّ نِجَاسَةِ الظَّاهِرِ تَوَدُّ نِجَاسَةَ الْبَاطِنِ، وَلِذَا لَكَ
أَمْرُ الْقَائِمِ بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ بِإِزَالَتِهَا وَابْتَعْدَانِهَا (مَدَارِجُ السَّالِكِينَ ٢/٢٠، ٢١)

ه والرجز فاھجر : (١) قَالَ جَاهِدْ وَعِكْرَمَةَ : يَعْنِي الْأَوْثَانَ، دَلِيلُهُ

قَوْلُهُ تَعَالَى : فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ (الْحَجَّ ٢٣/٣٠) قَالَهُ ابْنُ عَبَّاسٍ وَابْنُ زَيْدٍ
(٢) وَقِيلَ : الرِّجْزُ : الْعَذَابُ، وَالمَعْنَى : وَعَمَلِ الرِّجْزِ فَاهْجِرْ، أَوْ الْعَمَلِ الْمُؤَدِّي إِلَى
الْعَذَابِ، وَأَصْلُ الرِّجْزِ الْعَذَابُ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : الْأَعْرَافُ ٧/١٣٤ : لِنَنْ كَشَفْتِ

٦ وَلَا تَمْنُنْ تَسْتَكْثِرُ : أَي : لَا تَمْنُنْ عَلَى أَصْحَابِكَ بِمَا عَلَّمْتَهُمْ وَبَلَّغْتَهُمْ مِنَ الْوَحْيِ مُسْتَكْثِرًا ذَلِكَ عَلَيْهِمْ ، وَقَدْ يَكُونُ الْمَعْنَى : لَا تَضَعْفُ مِنْ قَوْلِهِمْ : هَبْ مَنِينٌ أَي : ضَعِيفٌ ، وَ : مِنْهُ السَّبِيُّ أَي : أُصْنَعُهُ ، فَالْمُرَادُ لَا تَضَعْفُ أَنْ تَسْتَكْثِرَ مِنَ الطَّاعَاتِ السَّائِئَةِ أَمَرْتُ بِهَا قَبْلَ هَذِهِ الْآيَةِ (المرامى ١٢٧/٢٩)

١١ ذُرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا : (١) ذُرْنِي أَي : دَعْنِي ، وَهِيَ

كَلِمَةٌ دَعِيدٌ وَتَهْدِيدٌ ، وَمَنْ خَلَقْتُ أَي : دَعْنِي وَالَّذِي خَلَقْتَهُ وَحِيدًا ، فَوَحِيدًا عَلَى هَذَا حَالٍ مِنْ خَيْرِ الْمَفْعُولِ الْمَحْذُوفِ أَي : خَلَقْتَهُ وَحْدَهُ ، لَا مَالَ لَهُ وَلَا وَلَدَ ثُمَّ أُعْطِيَتْهُ بَعْدَ ذَلِكَ مَا أُعْطِيَتْهُ (٢) وَقَالَ قَوْمٌ : إِنْ قَوْلُهُ تَعَالَى : وَحِيدًا يَرْجِعُ إِلَى الرَّبِّ تَعَالَى عَلَى مَعْنَيْنِ : (١) ذُرْنِي وَحْدِي مَعَهُ فَأَنَا أَجْزِيكَ فِي الْإِنْتِقَامِ مِنْهُ عَنْ كُلِّ مُنْتَقِمٍ - (٢) أَنِّي أَلْفَزْتُ بِخَلْقِهِ وَلَمْ يَشْرِكْنِي فِيهِ أَحَدٌ فَأَنَا أَهْلُكَ وَلَا أُحْتَاجُ إِلَى نَاصِرٍ فِي إِهْلَاكِكَ ، فَوَحِيدًا عَلَى هَذَا حَالٍ مِنْ خَيْرِ الْفَاعِلِ وَهُوَ التَّاءُ فِي خَلَقْتُ (القرطبي ٧١٠٧٠/١٩)

٣٠ عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ : وَالصَّيْحُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ أَنْ هَوْلَاءِ التَّعَةِ

عَشْرٌ ، هُمُ الرُّؤَسَاءُ وَالنَّقِيَاءُ ، وَأَمَّا جَبَلَتُمْ فَالْعِبَارَةُ تَعْجِزُ عَنْهَا ، كَمَا قَالَ تَعَالَى : وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ وَالْمُحْذَرُ (٣١/٧٤) وَقَدْ ثَبَتَ فِي الصَّيْحِ مِنْ ابْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : يُوَفَّى بِجَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ

لَهَا سَبْعُونَ أَلْفَ زِمَامٍ ، مَعَ كُلِّ زِمَامٍ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ يَجْرُونَ (القرطبي ٨٠/١٩)

٣٣ وَاللَّيْلُ إِذَا أَوْبَرُ : أَمَّا إِقْسَامُهُ : وَالتَّيْلُ إِذَا أَوْبَرُ فَلَهَا فِي

أَدْيَابِهِ وَإِقْبَالِ النَّهَارِ مِنْ أَبْيَنِ الدَّلَالَاتِ الظَّاهِرَةِ عَلَى الْجَهْدِ وَالْمَعَادِ ، فَانْهَ مَبْدَأُ وَمَعَادُ يَوْمٍ مَشْهُودٍ بِالْعَيَانِ ، بَيْنَمَا الْحَيَوَانُ فِي سُكُونِ اللَّيْلِ قَدْ هَدَأَتْ حَرَكَاتُهُمْ وَسَكُنَتْ أَصْوَاتُهُمْ وَتَامَتْ عِيُونُهُمْ وَصَارُوا إِخْوَانَ الْأَمْوَاتِ ، إِذَا أُقْبِلَ مِنَ النَّهَارِ دَاعِيَةٌ ، وَأَسْمَحَ الْخَلَأُ مَنَادِيَهُ ، فَانْتَشَرَتْ مِنْهُمْ الْحَرَكَاتُ وَارْتَفَعَتْ مِنْهُمْ الْأَصْوَاتُ ،

حتى كأنهم قاموا أحياء من القبور يقول قائلهم : الحمد لله الذي أحيانا بعد ما أماتنا واليه النشور ، فهو معاد جديد يداؤه وأعادة الذي بيده ويعيد ، فمن ذهب بالليل وجاء بالنهار سوى الواحد القهار ؟ ومن تأمل حال الليل إذا عسعس وأدبر ، والصبح إذا تنفس وأدبر فهزم جيوش الظلام بنفسه ، وأضاء أفق العالم بقبسه ، وقل (أي : هزم) كاتب الكواكب (أي : جماعة الكواكب) بعساكره وأحكك نواحي الأرض بقبائشيره وبشائره ، فيا لهما آيتان شاهدتان بوحدانية منشئهما ، وكمال ربوبيته وعظم قدرته وحكمته ، فتبارك الذي جعل طلوع الشمس وغروبها مقيما لسلطان الليل والنهار .

فلولا طلوعها لبطل أمر العالم كله ، فكيف كان الناس يسعون في معاشهم ويتصرفون في أمورهم والدنيا مظلمة عليهم ؟ وكيف كانت تهنيهم الحياة مع فقد لذة النور وروحه ، وأتى ثمار ونبات وحيوان كان يوجد ، وكيف كانت تتم مصالح أبدان الحيوان والنبات ؟ ولولا غروبها لم يكن للناس هدوء ولولا إقرار مع علم حاجتهم إلى الهدوء لراحة أبدانهم وجود حواسهم فلو لا جثوم هذا الليل عليهم بظلمته ما هدأوا ولا قروا ولا سكنوا ، بل جعله أحكم الحاكمين سكنا ولباسا ، كما جعل النهار ضياء ومعاشا . ولولا الليل وسرده لاحترق أبدان النبات والحيوان من دوام شروق الشمس عليها ، وكان يحرق ما عليها من نبات وحيوان ، فافتضت حكمة أحكم الحاكمين أن جعلها سراجا يطلع على العالم في وقت حاجتهم اليه ، ويقيب في وقت استغنائهم عنه ، فطلوعه لمصلحتهم وغيبته لمصلحتهم ، وصار النور والظلمة على تضادهما متعاوشين متفاضرين على مصلحة هذا العالم وقوامه ، فلو جعل الله سبحانه النهار سرمدًا إلى يوم القيامة ، والليل سرمدًا إلى يوم القيامة لفاقت مصالح العالم ، واشتدت الضرورة إلى تغيير ذلك وإزالته بحدوده (البيان في أقام القرآن ٢١٣/٢١٥)

٤٣ لمنك من المصليين : في هذه الآيات من صفات غير المصليين

المهايكن : (١) ترك الصلاة ، وصى عمود الاخلاص بالمعبود (٢) ترك إعطاء المسكين ، الذي هو من مراتب الاحسان للعبيد ، فلا إخلاص للمخالق ولا إحسان للمخلوق ، كما قال تعالى : ولا يأتون الصلاة الا وهم كسالى ولا ينفقون الا وهم كارهون (الثوبة ٥٤/٤) وقال : الذين هم يراؤون ويمنون الماعون (الماعون ٨٠٧) وهذا ضد ما وصف به أصحاب اليمين بقوله : الذين يقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون (الأنفال ٨/٣) وقرن سبحانه بين هذين الصليين في غير موضع في كتابه ، فأمر بهما تارة ، وأثنى على ما عليهما تارة ، وتوعدهما بالويل والعقاب تارة ، فان مدار الرحمة عليهما ، ولا فلاح لمن أخل بهما . (٣) الخوض بالباطل (٤) والتكذيب بالحق ، فاجتنع لهم عدم الإخلاص والإحسان ، والخوض بالباطل والتكذيب بالحق ، واجتمع لأصحاب اليمين : الإخلاص والإحسان والتصديق بالحق والتكلم به ، فاستقام إخلاصهم وإحسانهم و يقيمهم وكلامهم . (التبيان في أقسام القرآن ٢١٩/٢٢٠)

٤٤ وكنا نخوض مع الخائضين : أى : وكنا لانبالي بالخوض

في الباطل مع من يخوض فيه ، قال ابن زيد : نخوض مع الخائضين في أمر محمد صلى الله عليه وسلم فنقول : انه كاذب ، ساهر ، مجنون ، وفي أمر القرات فنقول انه سحر وشعوذة كانه الى نحو اولئك من الأباطيل (البرقي ١٤٠/٢٩) وعمد من ذلك حكاية ما يجري بين الزوجين في الخوة مثلاً ، وحكاية أحوال الفسقة يأفكهم على وجه الالتئاذ والاستئناس بها ، ونقل الحروب المتى بين الصحابة لغير عرض شرعى ، بل لمجرد أن يتوصل به الى طعن و تنقيص ، والتكلم بكلمة يضحك بها الرجل جلسائه ، سواء كانت مباحاً في نفسها

أم لا (روح المعاني ١٥٢/٢٩)

كأنهم حرمستنفرة : شبههم في إعراضهم ونفورهم

عن القرآن بحمر رأت الأسد أو الرمّة ففرت منه، وهذا من بديع
القياس والتعثيل، فإن القوم في جهلهم بما بعث الله به رسوله كالحمر
وهي لا تعقل شيئاً، فإذا سمعت صوت الأسد والرّمي ففرت منه أشدّ
النفور، وهذا غاية الدّم بهولاء، فأنهم نفروا عن الهوى الذي فيه
سعادتهم وحياتهم كنفور الحمر عن من يملكها ويعقرها، وتحت المستفزة
معنى أبلغ من النافرة، فإنها لشدة نفورها قد استنفرت بعضها بعضاً وحضه
على النفور فإن في الاستفعال من الطلب قدراً إذا دأ على الفعل المجرد، فكأنها
تواصت بالنفور وتواطأت عليه (إعلام الموقعين ١/١٤١)

القيمة

٢ ولا أقسم بالنفس اللوامة (١) قال ابن عباس : كل نفس تلوم نفسها يوم القيامة ، يلوم المحسن نفسه أن لا يكون ازداد حسناً ، ويلوم المسيئ نفسه أن لا يكون رجع عن إساءته ، واختاره الفضلاء ، قال : ليس من نفس برة ولا فاجرة ، إلا وهي تلوم نفسها ، إن كانت عملت خيراً ، قالت : هلأ اذددت خيراً ؟ وإن كانت عملت سوءاً ، قالت : يا ليتني لم أفعل . (٢) إنها خاصة ، قال الحسن : هي النفس المؤمنة ، وأن المؤمن — والله — لا تراه ، إلا يلوم نفسه على كل حالة ، لأنه يستقصيها في كل ما تفعل ، فيندم ويلوم نفسه ، وأن الفاجر يمضي قدماً لا يعاتب نفسه . (٣) إنها النفس الكافرة وحدها ، قاله قتادة ومقاتل : وهي النفس الكافرة تلوم نفسها في الآخرة على ما فرطت في أمر الله ، قال شيخنا : والأظهر أن المراد نفس الإنسان مطلقاً ، فإن نفس كل إنسان لوامة ، كما أقسم بحسن النفس في قوله : ونفس وما سواها فالهمها فجورها و تقواها (الشمس ٩١/٨٧) فإنه لا يند لكل إنسان أن يلوم نفسه أو غيره على أمره (التبيان في أقسام القرآن ٣٥/ ٣٤)

٢٣ وجوه يومئذ ناظرة إلى ربها ناظرة : قال مجاهد : تنتظر

الثواب من ربها ، لا يراه من خلقه شيء (ابن جرير ١٢٠/٢٩ ، ابن كثير ٢٩٣/٢) قال الثعلبي : وقول مجاهد : إنما بمعنى تنتظر الثواب من ربها ولا يراه شيء من خلقه ، فتأويل مدخول ، لأن العرب إذا أرادت بال نظر الانتظار قالوا : نظرت ، كما قال تعالى : هل ينظرون إلا تأويله ؟ (الاعراف ٥٣/٧) هل ينظرون إلا الساعة (الزخرف ٤٣/٦٦) وإذا أرادت به التفكير والتدبر قالوا : نظرت فيه ،

فأما إذا كان النظر مفروفاً بذكر إلى و ذكر الوجه فلا يكون إلا بمعنى
الرؤية والعيان ، وقال الأزهري : إن قول مجاهد تنتظر ثواب ربها خطأ ،
لأنه لا يقال : نظر إلى كذا بمعنى الانتظار ، وإن قول القائل : نظرت
إلى فلان ليس إلا رؤية عين ، كذلك تقول العرب ، لا نهم يقولون :
نظرت إليه ، إذا أرادوا نظر العين ، فإذا أرادوا الانتظار قالوا : نظرتُهُ
قال : **فَإِنَّكُمْ إِن تَنْظُرَانِ سَاعَةً**

مِن الدَّهْرِ تَنْفَعْنِي لَدَى رَبِّ جُنْدٍ

لما أراد إلى انتظار قال : تنظران ولم يقل : تنظران إلى ، وإذا أرادوا
نظر العين قالوا : نظرت إليه ، قال :

نظرتُ إليها والنجومُ كأنها

مصاييحٌ وهبانٌ تُشَبُّ لِقَالِ

تشب : توقد ، والقول جمع قافل وهو الراجع من السفر (القرطبي ١٩ / ١٠٩)

إن النظر له عدة استعمالات بحسب صلاته وتعديه بنفسه (١) فإن
عدي بنفسه فمعناه : التوقف والانتظار : انظرونا نقبّس من نوركم والحديد
١٣ / ٥٧ (٢) وإن عدي بغيره فمعناه : التفكير والاعتبار : أولم ينظروا
في ملكوت السماوات والأرض (الأعراف ٧ / ١٨٤) (٣) وإن عدي بإلى فمعناه
المعاينة بالأبصار : انظروا إلى ثمره إذا أشهر (الأأنعام ٩٩ / ٤)

ككيف إذا أضيف إلى الوجه الذي هو محل البصر ، (شرح العقيدة الطحاوية ٢٥ / ٢)
يستعمل فيها تأويل النظر بانتظار الثواب ، فإنه أضاف النظر إلى الوجه بالنظر
اللقى لا تحصل إلا مع حضور ما يتنعم به ، لا مع التفتيش بانتظاره ، ويستعمل مع
هذا التركيب تأويل النظر بغير الرؤيا ، وإن كان النظر بمعنى الانتظار في قوله :
انظرونا نقبّس من نوركم وقوله : فتأطروا به يرجع المرسلون (الصواعق المرسلة

٢٧ وقيل من راق ؟ يقول الحاضرون : من راق أي : من يرق من

هذه العلة التي أعيت على الحاضرين أي : التسوالة من يرقه ، والرقية آخر الطب ، وقيل : من يرق بها ويصعد ، أملاكة الرحمة أم ملائكة العذاب ؟ فعلى الأول تكون من راق يرق كرمي يرمي ، وعلى الثاني من راق يرق كشتى يشى ، ومصدره الرقاء ومصدر الأول الرقية ، والقول الأول أظهر لوجهه : (١) انه ليس كل ميت يقول حاضروه : من يرق بروحه ؟ وهذا انما يقوله من يؤمن من برقي الملكة بروح الميت ، وانهم ملائكة رحمة وملائكة عذاب ، بخلاف التماس الرقية وهي الدعاء ، فانه قل ما يخلو منه المختصر - (٢) ان الروح انما يرق بها الملك بعد مفارقتها ، وحينئذ يقال : من يرق بها ؟ واما قيل المفارقة فطلب الرقية للمريض من الحاضرين أنسب من طلب علم من يرق بها الى الله (٣) أن فاعل الرقية يمكن العلم به فيحسن السؤال عنه ويفيد السامع ، واما الراق الى الله فلا يمكن العلم بتعيينه حتى يسأل عنه ، و(من) انما يسأل بها عن تعيين ما يمكن السائل أن يصل الى العلم بتعيينه - (٤) أن مثل هذا السؤال انما يراد به تحضيض وإثارة إهتمام الى فعل يقع بعد (من) نحو قوله : من ذا الذي يقرض الله قرضاً حسناً - (البقرة ٢/٢٤٥) ، أو يراد به إنكار فعل ما يذكر بعدها كقوله : من ذا الذي يشفع عنده إلا بإذنه (البقرة ٢/٢٥٥) وفعل الراق الى الله لا يحسن فيه واحد من الأمرين هنا بخلاف فاعل الرقية ، فانه يحسن فيه الأول - (البيان في أقسام القرآن / ١٩٤ ، ١٩٥)

٣٤ أن يترك سدى : قال الإمام الشافعي : أي : محصلاً ، لا يؤمر ولا ينهى

وقال غيره : لا يشاب ولا يعاقب - والقولان واحد ، لأن الثواب والعقاب غاية الأمر والنهى فهو سبحانه خلقتهم للأمر والنهى في الدنيا ، والثواب والعقاب في الآخرة ، فانكر سبحانه على من زعم أنه يترك سدى إنكار من جعل في العقل استقياح ذلك واستهجاناً ، وأنه لا يليق أن ينسب ذلك الى أحكم الحاكمين - (مفتاح دار السعادة ٢/٣٩٥) ✽

الدَّهْرُ

١ هل أتى على الإنسان : أى : قد أتى على جنس الإنسان قبل

زمان قريب طائفة محدودة مقدرة كائنة من الزمان الممتد لم يكن شيئاً غير مذكور بالإنسانية أصلاً أى : غير معروف بها ، على أن التقى راجع إلى القيد ، والمراد : أنه معدوم لم يوجد بنفسه ، بل كان الموجود أصله ممّا لا يسمى إنساناً ولا يعرف بعنوان الإنسانية ، وهو مادته البعيدة ، أعنى : العنصر والمتوسطة وحى الأعذية ، أو القرينة وحى النطفة المتولدة من الأعذية المخلوقة من العناصر ، وحلة : لم يكن شيئاً مذكوراً حالاً من الإنسان أى : غير مذكور ، وجوز أن تكون صفة لحين بحذف العائد عليه أى : لم يكن فيه شيئاً مذكوراً ، كما في قوله تعالى : واتقوا يوماً لا تجزى نفس من نفس شيئاً ، وإطلاق الإنسان على مادته مجاز يجعل ما هو بالقوة منزلة منزلة ما هو بالفعل ، وهو من مجاز الأول ، وقيل : المراد بالإنسان آدم عليه السلام وأيد الأول بقوله تعالى : ربنا خلقنا الإنسان من نطفة (روح المعاني ٢٩ / ١٧٣) .

فان قيل : في تفسير الثعلبي بطرق قال : مرض الحسن والحسين ، فعادهما جدّهما وعامة العرب ، فقالوا : يا أبا الحسن لو نذرت على ولدك ، فنذر صوم ثلاثة أيام ، وكذلك نذرت أمهما وجاريتهم فضّة ، فبرئاً ، وليس عند آل محمد قليل ولا كثير ، فاستقرض على ثلاثة آصع من شعير فعملت منه فاطمة خمسة أقرص ، وصلى على مع النبي صلى الله عليه وسلم المغرب ، ثم أتى المنزل فوضع الطعام بين يديه إذ أتاهم مسكين فوقف وسأل ، فأعطوه الطعام و مكثوا يومهم و ليلتهم لم يذوقوا شيئاً إلا الماء ، فلما كان اليوم الثاني قامت فاطمة وخبزت صاعاً وجاءت على فأتى يتيم من أولاد المهاجرين ^{وقال} استشهد والدي يوم

العقبة ، أطمعوني أطمعكم الله من موائد الجنة ، فأعطوه الطعام ومكثوا يومين وليليتين ، فلما كان اليوم الثالث طعنت الصاع الثالث وخبزته و أقي على موضع الطعام إذ أقي أسير فقال : أطمعوني فاني أسير محمد أطمعكم الله على موائد الجنة ، فأمر علي بإعطائه ، فأعطوه الطعام ومكثوا ثلاثة أيام بلياليها لم يذوقوا شيئاً إلا الماء ، فلما كان اليوم الرابع — ونفذ ما عندهم — أخذ علي الحسن بيده اليمنى والحسين بيده اليسرى وأقبل على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم يرتعشون كالفرأخ من الجوع ، فأنطلق معهم إلى منزل فاطمة وقد لصق ظهرها بطنها وغارت عيناها من الجوع ، فحبط جبريل فقال : يا محمد خذ ما هناك الله في أهل بيتك ، فأقرأه : هل أقي على اللبسان شيء من الدر — إلى قوله تعالى — : انما نطعمكم لوجه الله (أسباب النزول لواحدى / ٢٩٦)

قلت : (١) انه موضوع باتفاق أهل النقل ، ومن المعلوم أن علياً إنما تزوج بفاطمة بالمدينة ، وهل أقي على الانسان مكية باتفاق المفسرين ، فلاح كذب الحديث (المنتقى من مناجح الاعتدال / ٣٦٩) (٢) قال الترمذى الحكيم أبو عبد الله في نوادر الأصول : فهذا حديث مَرْوُوقٌ مُزَيَّفٌ ، قد نظرت فيه صاحبه حتى تشبه على المستمعين ، فالجاهل بهذا الحديث يعرض مشقيته تلخفاً ، لا يكون بهذه الصفة ، ولا يعلم أن صاحب هذا الفعل مذموم ، وقد قال الله تعالى : ويسألونك ماذا ينفقون قل العفو (البقرة ٢ / ٢١٩) وهو الفضل الذي يفضل عن نفسك وعيالك ، وجرى الأخبار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم متواترة بأن : خير الصدقة ما كان من ظهر غني ، وأيد أبنفسك ثم بمن نقول - وافترض الله على الأزواج نفقة أهاليهم وأولادهم ، وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : كفى بالمرء إثماً أن يضيع من يقوت - فيجب عاقل أن علياً جهل هذا الأمر حتى أجهد صبيانياً صقاراً من أبناء خمس أو ست

على جوع ثلاثة أيام ولياليهن ؟ حتى تصنّروا من الجوع ، وفارت العيون منهم ،
لخلاء أجوافهم ، حتى أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم ما بهم من الجهد ، حيث أنه
آثر على نفسه هذا السائل فهل كان يجوز له أن يحمل أهله على ذلك ؟ وهب أن
أهله سمحت بذلك لعلّ فهل جاز له أن يحمل أطفاله على جوع ثلاثة أيام ولياليهن ؟
ما يروج مثل هذا إلا على حقي جهال ، أي الله لقلوب متبيحة أن تلقى بعلى مثل هذا
القرطبي ١٩/ ١٣٤ (٣) لم تكن لفاطمة جارية اسمها فطنة ، ولا عرف أنه كان بالمدينة
جارية اسمها فطنة ، وإنما هي بمنزلة ابن عقب أسماء موضوعة لمعدومين ، وقد
ثبت في الصحيحين عن علي رضي الله عنه أن فاطمة رضي الله عنها سألت النبي صلى الله
عليه وسلم خادماً فعلمها أن تسبح عند المنام وتكبر وتحمّد مائة ، وقال : هذا خيركم
من خادم (٤) وقول اليتيم : أستشهد أبي يوم البيعة ، هذا من الكذب الفاهر الممقوت ،
فليئة العقبة كانت مبايعة حفصة ليست غزوة ، ففتح الله من وضعه (٥) ثم أنه
لم يكن في المدينة أسير قط يسأل الناس ، بل كان المسامون يقومون بالأسير الذي
يتأسرونه ، فدعوى المدعي أن أسراهم كانوا محتاجين إلى مسألة الناس كذب عليهم
وقدح فيهم (المنتقى من منهاج الاعتدال / ٣٦٩)

٣ **أنا هديناه السبيل** : أي : بيّنا له وعرفناه طريق الهدى والضلال
والخير والشر يبعث الرّسل ، فأمن أو كفر ، كقوله تعالى : هديناه النّجدين ، وقال
مجاهد : أي : بيّنا له السبيل إلى الشقاء والسعادة (القرطبي ١٩/ ١٢٢)

٥ **إن الأبرار يشرّون** : الأبرار : أهل الصدق ، واحدهم برّ ، وهو من
امتثل أمر الله تعالى ، وقيل : البرّ : الموحد ، والأبرار : جمع بارّ مثل مشاهد وأشهاد
وقيل : هو جمع برّ مثل نهرو أنهار ، وفي الصحاح : وجمع البرّ : الأبرار ، وجمع البارّ : البررة ،
وفلان يبرّ خالقه ويشرّره أي : يطيعه ، والآخر برّة يولدها ، وروى ابن جرير
رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : انما سماهم الله تعالى الأبرار لأنهم برّوا الآباء والأبناء
كما أن لوالدك عليك حقاً كذا لك لولدك عليك حقاً (القرطبي ١٩/ ١٢٥) .

المُرسلات

والمُرسلات عرفاً : فسّرت المُرسلات بالملئكة وهو قول أبي هريرة

و ابن عباس في رواية مقاتل وجماعة ، وفسّرت بالرياح ، وهو قول ابن مسعود ، وإحدى الروايتين عن ابن عباس وقول قتادة ، وفسّرت بالسحاب ، وهو قول الحسن ، وفسّرت بالانبياء ، وهو رواية عطاء عن ابن عباس .

قلت : الله سبحانه يرسل الملكة ويرسل الانبياء ويرسل السحاب فيسوقه حيث يشاء ، ويرسل الصواعق فيصيب بها من يشاء ، فأرساله واقع على ذلك كله ، وهو نوعان : إرسال دين يحبه ويرضاه ، وإرسال رسله وأنبياؤه ، وإرسال كونه وهو نوعان : نوع يحبه ويرضاه ، وإرسال ملائكته في تدبير أمر خلقه ، ونوع لا يحبه ، بل يسخطه ويبغضه ، وإرسال الشياطين على الكفار .

فإرسال المقسم به ههنا مقيد بالعرف ، فإما أن يكون ضد المنكر ، فهو إرسال رسله من الملكة ، ولا يدخل في ذلك إرسال الرياح ولا الصواعق ولا الشياطين . وإما إرسال الانبياء ، فلو أُريد لقال : والمرسلين . وليس بالفصح تسمية الانبياء مرسلات ، وتكلف الجماعات المرسلات خلاف المعهود من اللفظ فلم يطلق في القرآن جمع ذلك إلا جمع تذكير ، لا جمع تأنيث .

وأيضاً فافتتران اللفظة بما بعدها من الأقسام لا يناسب تفسيرها بالانبياء ، وأيضاً : فإن المرسل مقسم عليهم في القرآن ، لا مقسم بهم ، كقوله تعالى : تا الله لقد أرسلنا إلى أمم من قبلك (النحل ١٤/٦٣) وقوله : والقرآن الحكيم انك لمن المرسلين . (يونس ٣٩/٣٤)

وإن كان العرف من التابع ، كعرف الفرس وعرف الديك ، ولئاس الى فلان عرف واحد أي : سابقون في قصده والتوجه اليه ، مجاز أن تكون المرسلة : الرياح ، و

يؤيد : عطف العاصفات عليه والناشرات -
 وجاز أن تكون الملكة ، وجاز أن يعبر النورين بوقوع الإرسال عرفاً
 عليهما ، ويؤيده أن الرياح مؤكل بها ملكة تسوقها وتصرفها ، ويؤيد كونها
 الرياح عطف العاصفات عليها بفاء التعقيب والتسبيب ، فكأنها أرسلت فعصفت
 ومن جعل المرسلات الملكة قال : هي تعصف في مضيها بسرعة كما تعصف الرياح ،
 والأكثر أن على أنها الرياح -

وفيها قول ثالث : أنها تعصف بروح الكافر ، يقال : عصف بالشئ إذا أباده وأهلكه ،
 قال الأعشى :

تعصف بالدرع والحاسر

الدرع : لايس الدرع ، والحاسر : الكاشف أي : غير المدرع - قاله أبو إسحاق ،
 وهو قول متكلف ، فإن المقسم به لابد أن يكون آية ظاهرة تدل على الربوبية ، و
 أما الأمور الغائبة التي يؤمن بها فأنما يقسم عليه ، وإنما يقسم سبحانه بملكته
 وكتابه لظهور شأنهما ، والقيام الأدلة والأعلام الظاهرة الدالة على ثبوتها .
 (التبيين في أقسام القرآن / ١٨٢ - ١٨٤)

٣ والناشرات نشرأ : هو استئناف قسم آخر ، ولهذا أتى به بالواو ، وما
 قبله معطوف على القسم الأول بالفاء ، قال ابن مسعود والحسن ومجاهد وقتادة :
 هي الرياح تأتي بالمطر ، ويدل على صحة قولهم قوله تعالى : وهو الذي يرسل
 الرياح ينشر بين يدي رحمته (الأعراف ٥٧/٧) يعني أنها تنشر السحاب نشرأ ، وهو ضد النثر -
 وقال مقاتل : هي الملكة تنشر كتب بني آدم ومخالف أعمالهم ، وقاله مسروق
 وعطاء عن ابن عباس ، وقالت طائفة : هي الملكة تنشر أجنتها في الجو عند
 صعودها ونزولها ، وقيل : تنشر أوامر الله في الأرض والسماء ، وقيل : تنشر
 النفوس فتحييها بالآيمان ، وقال أبو صالح : هي الأمطار تنشر الأرض أي : تحييها .
 قلت : ويجوز أن تكون الناشرات لازماً لا مفعول له ، ولا يكون المراد أنهن
 نشرن كذا ، فإنه يقال : نشر الميت : حيي ، وأشره الله : إذا أحياه ، فيكون المراد

بها النفس التي حييت بالعرف الذي أرسلت به المرسلات، أو الأَشباح والأرواح
والبقاع التي حييت بالرياح المرسلات، فإن الرياح سبب لنشور الأبدان والنبات
والوحى سبب لنشور الأرواح وحياتها، لكن هنا أمرٌ ينبغي التفطن له، وهو أنه
سبحانه جعل الإقسام في هذه السورة نوعين، وفصل أحدهما من الآخر، وجعل
العاصفات معطوفاً على المرسلات بقاء التعقيب فصارا كأنهما نوع واحد، ثم
جعل الناشرات كأنه قسم مبتدأ فأتى فيه بالواو، ثم عطف عليه الفارقات والملقيات
بالفاء، فأوهم هذا أن مفارقات الملقيات مرتبط بالناشرات، وأن العاصفات مرتبط
بالمرسلات، وقد اختلف في الفارقات، والأكثر على أنها الملكة، ويدل عليه
عطف الملقيات ذكرها عليها بالفاء، وهي الملكة بالاتفاق.

وعلى هذا فيكون القسم بالملكة التي تنشر أجنحتها عند النزول، ففرقت بين الحق
والباطل، فألقت الذكر على الرسل إعداءً وإنذاراً. ومن جعل الناشرات الرياح
جعل الفارقات صفة لها قال: هي تفرق السحاب ههنا وههنا، ولكن يأتي ذلك
عطف الملقيات بالفاء عليها، ومن قال: الفارقات أي: القرآن يفرق بين الحق والباطل
فقوله يلتئم مع كون الناشرات الملكة أكثر من التسامع إذا قيل: إنها
الرياح، ومن قال: هي جماعات الرسل، فإن أراد الرسل من الملكة فظاهر،
وإن أراد الرسل من البشر فقد تقدم بيان ضعف هذا القول.

ويظهر - والله أعلم بما أراد من كلامه - أن القسم في هذه الآية وقع على
النوعين: الرياح والملكة، ووجه المناسبة أن حياة الأرض والنبات وأبدان الحيوان
بالرياح، فإنها من روح الله، وقد جعلها الله نشوراً. وحياة القلوب والأرواح بالملكة،
فهذين النوعين يحمل نوعاً للحياة، ولهذا - والله أعلم - فصل أجد النوعين من الآخر بالواو
وجعل ما هو تابع لكل نوع بعده بالفاء. (التبيين في أقسام القرآن ١٨٤-١٨٧)

١٥ ويل يومئذ للمكذبين: كرر (ويل يومئذ للمكذبين) ليعني تكثير التعزيف و
الوعيد، وقيل: ليس يتكرر، لأنه أراد بكل قول منه غير الذي أراد بالآخر كأنه ذكر شيئاً

فقال: ويل لمن يكذب بهذا، ثم ذكر شيئاً آخر فقال: ويل لمن يكذب بهذا، ثم

كذلك الى آخرها. (القرطبي ١٩ / ١٩٩)

٢٠ المخلقكم من ماء مهين: تأمل كيف وقع القسم في هذه السورة على المعاد والحياة الدائمة الباقية، وحال العناء والاشقياء فيهما، وقررها بالحياة الأولى في قوله: المخلقكم من ماء مهين، فذكر فيها العبد أو المعاد، وأخلص السورة لذلك، فحسن الأقسام بما يحصل به نوعاً للحياة المشاهدة، وهو الرياح والملكة، فكان في القسم بذلك بين دليل وأخرى آية على صحة ما أقسم عليه وتضمنته السورة، ولهذا كان المكذب بعد ذلك في غاية الجحود والعناد والكفر، فاستحق الوليل بعد الوليل، فتضاعف عليه الوليل، كما تضاعف منه الكفر والتكذيب، فلا أحسن من هذا التكرار في هذا الموضع ولا أعظم منه موقعاً، فإنه تكرر عشر مرات، ولم يذكر إلا في أثر دليل أو مدلول عليه عقيب ما يوجب التصديق وما يوجب التصديق به فتأمل. (البيان في أقسام القرآن ١٨٦، ١٨٧)

٢١ الم يجعل الأرض كفاتاً: أي: ضامة تصم الأحياء على ظهورها والأموال في بطنها وهذا يدل على وجوب مواراة الميت ودفنه، ودفن شعره وسائر ما يزيله عنه. (القرطبي ١٩ / ١٧١)

٢٢ ذي ثلاث شعب: أي: اطلقوا إلى ظل دخان جهنم المنتعبد إلى ثلاث شعب: شعبة عن يمينهم، وشعبة عن شمالهم، وشعبة من فوقهم، والبراد أنه محيط بهم من كل جانب كما جاء في الآية الأخرى: أحاط بهم سرادقها (المراعي ٢٩ / ١٨٦)

٢٣ واذا قيل لهم اركعوا لا يركعون: أي: وإذا قيل للمؤلفاء المكذبين: اعبدوا الله وأطيعوه واخشوا يوماً تتقلب فيه القلوب والأبصار، استكبروا وأهتروا على منادهم. روى أن النبي صلى الله عليه وسلم أمر ثقيفاً، (الملاوة فقالوا: لا نجوز (أي: لا نركع) فانها مسبة علينا، فقال عليه السلام: لا خير في دين ليس فيه ركوع ولا سجود، وروى ابن جرير عن ابن عباس أنه قال: إنما يقال هذا في الآخرة حين يدعون إلى السجود فلا يستطيعون. من جرأ الفهم لم يكونوا يسجدون في الدنيا. (المراعي ٢٩ / ١٩٠) ٥

النَّبَا

٢ عن النبأ العظيم : أى : الخبر الكبير : (١) روى أبو صالح

عن ابن عباس قال : هو القرآن ، دليله قوله تعالى : قل هو نبأ عظيم انتم عنه معرضون (ص ٣٨ / ٧٧ / ٧٨) ، فالقرآن نبأ وخبر وقصص ، وهو نبأ عظيم الشأن . (٢) وروى سعيد عن قتادة قال : هو البعث بعد الموت ، صار الناس فيه رجلين : مصدق ومكذب (٣) وقيل : امر النبي صلى الله عليه وسلم (القرطبي ١٩ / ١٧٠)

٧ والجبال أوتاداً : أى : وجعلنا الجبال لها كالأوتاد كي لا تميل

بأهلها ، وتضرب بسكانها ، ولولاها لكانت دائرة الأرض كالأوتاد لكانت في جوفها من المواد الدائمة الجيوشان ، فلا تتم الحكمة في كونها مهاداً لهم (المرآة ٢ / ٨)

٨ وخلقكم أزواجاً : أى : وجعلناكم أزواجاً ذكوراً وإناثاً لئتم

الإنسان والتعاون على سعادة المعيشة ، وحفظ النسل وتكميله بالتربية والتعليم . ونحو الآية قوله (الروم ٣٠ / ٢١) : ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجاً لتكنوا إليها وجعل بينكم مودةً ورحمة (المرآة ٣٠ / ٨)

٩ سباتاً : أى : راحة لأبدانكم ، ومنه : يوم السبت أى : يوم

الراحة ، أى : قيل لبني إسرائيل : استريحوا في هذا اليوم ، فلا تعملوا فيها شيئاً ، وأمر ابن الأبناري هذا وقال : لا يقال للراحة سبات ، وقيل : أصله التعدد ، يقال : سبت المرأة شعرها ، إذا حلتها وأرسلته ، فالسبات كالمد ، ودخل مسبت الخلق : أى ممدود ، وإذا أراد الرجل أن يستريح تمدد ، فسميت الراحة سباتاً ، وقيل : أصله انقطع ، يقال : سبت شعره سبتاً : حلقه ، وكأنه إذا نام انقطع عن الناس وعن الاشتغال ، فالسبات يشبه الموت ، إلا أنه لم تفارقه

٢٣ لا يثنى فيها أحقاباً : أى : دهوراً متتابعة ، وليس فيه ما

يبدل على خروجهم منها ، إذ لو صح أن الحقب ثمانون سنة أو سبعون ألف سنة ، فليس فيه ما يقتضى تناهى تلك الأعقاب لجواز أن يكون المراد أحقاباً مترادفة ، كما معنى حقب تبعه آخر (البياضى ١٥٣٤/٢)

أى : أنهم سيمكثون فيها دهوراً متلاحقة يتبع بعضها بعضاً فكلما انقضى زمن تجدد لهم زمن آخر ، كما قال (المأشدة ٣٧/٥) : يريدون أن يفرجوا من النار وما هم بخارجين منها ولهم عذاب مقيم (المرافى ١٣/٣٠)

٢٥ إلا حميماً وغساقاً : استثناء منقطع فى قول من جعل البرد النوم

ومن جعله من البرودة كان يدلالة منه ، والحميم : الماء الحار ، قاله أبو عبيدة ، وقال ابن زيد : الحميم : دموع أعينهم ، تجتمع فى حياض ثم يصفونها قال النحاس : أصل الحميم : الماء الحار ، ومنه اشتق الحمام ، ومنه الحمى ، ومنه : وظل من يحوم (الواقعة ٤٣/٥٩) : إنما يراد به النهاية فى الحر ، والغساق : صديد أصل النار وقيحهم ، وقيل : الزمهرير (القرطبي ١٨٠/١٩)

٢٦ جزاءً وفاقاً : أى : موافقاً لأعمالهم ، عن ابن عباس ومجاهد

وغيرهما ، فالإفاق بمعنى الموافقة كالقتال بمعنى المقاتلة ، و(جزاء) نصب على المصدر أى : جازيناهم جزاءً وافق أعمالهم ، قاله الفراء والأخفش ، وقال الفراء أيضاً : هو جمع الوفق ، والوفق واحد ، وقال مقاتل : وافق العذاب الذنب ، فلا ذنب أعظم من الشرك ، ولا عذاب أعظم من النار (القرطبي ١٨١/١٩)

٣٣ وكواعب أتراباً : الكواعب جمع كاعب ، وهى الناهد ، قاله قتادة و

مجاهد والمفسرون ، وقال الكلبي : هن الفلكات التى تكتب شديهن . و تفلكت ، وأصل اللفظ من الاستدارة ، والمراد : أن شديهن نواهد ، كالرمان ليست متدلية إلى أسفل ، ويسمى نواهد وكواعب (الأرواح ١٥٧)

٣٨ وقال صواباً : أى : حقاً وصدقاً واعتقده ، فالقول هاهنا

كأنه كناية من الإعتقاد ، والإعتقاد لا يظهر إلا بالقول ، ومعنى صواباً :
لا إله إلا الله ، فالكفار لا يؤذن لهم أن يتكلموا أو يعتذروا وأهل الأحوال
وأنت لهم درجة الشفاعة ؟ (المظهرى ١٠/ ١٨٣)

٤. ويقول الكافر ليستنى كنت تراباً : الدليل على حشر الوحوش

وجوه : (١) قوله تعالى : وما من دابة في الأرض ولا طائر يطير بجناحيه
أو أمم أمثالكم ما فرطنا في الكتاب من شيء ثم إلى ربهم يحشرون (الأأنعام ١/ ٣٨)
(٢) قوله تعالى : وإذا الوحوش حشرت (التكوير ٨١/ ٥) (٣) حديث
مانع صدقة الإبل والبقر والغنم وإنما تجيء يوم القيامة أعظم ما كانت و
وأسمه تنطحه بقرونها ونظاؤه بأظلافها ، وهو متفق على صحته ، فقد
رواه الإمام البخارى في صحيحه ١/ ١٨٨ ، ١٩٦ ، ١٩٤ ، والإمام مسلم في صحيحه ١/ ٣١٨ .

(٤) حديث أبي ذر رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم رأى شاترين
ينتطحان ، فقال : يا أبا ذر أنتدرى فيما ينتطحان ؟ قال : قلت لا ، قال :
لكن الله يدهمى وسيقتضى بينهما ، رواه الإمام أحمد في مسنده ٥/ ١٩٢ ، ١٤٣ .

(٥) الآثار الواردة في قوله تعالى : يوم ينظر المرء ما قدمت يده و يقول
الكافر يا ليستنى كنت تراباً (النبي ٧٨/ ٤٠) وإن الله تعالى يجمع الوحوش ثم
يقتص من بعضها لبعض ثم يقول لها كوني تراباً فتكون تراباً فعند ها يقول
الكافر : يا ليستنى كنت تراباً (بدائع الفوائد ٣/ ١٨٣)

الشرع

١ والنارعات غرقا: أكثر المفسرين على أنها الملكة السق

تنزع أرواح بني آدم من أجسامهم ، وهم جماعة كقوله : توفته رسولنا .
 (الأرقام ١٩٤/٢) وقوله : ان الذين توفاهم الملكة ظالمى أنفسهم النساء
 (١١/٣٢) وأما قوله : قل يتوفاكم ملك الموت الذى وكل بكم (السجدة ١١/٣٢)
 فإما أن يكون واحداً وله أعوان ، وإما أن يكون المراد الجنس لا الوحدة
 كقوله تعالى : وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها (النحل ١٨/١٦) والشرع هو:
 اجتذاب الشيء بقوة ، والإغراق فى الشرع هو : أن يجتذب به إلى آخره ، و
 منه إغراق الشرع فى جذب القوة بأن يبلغ بها غاية المد ، فيقال : أغرق
 فى الشرع ، لثروا مثلاً لكل من بالغ فى فعل حتى وصل إلى آخره ، والغرق
 اسم مصدر ، أقيم مقامه كالإعطاء والكلام ، أقيم مقامه الإعطاء والتكلم ،
 قال ابن مسعود رضى الله عنه : المنزوعات هى أنفس الكفار ، وهو قول قتادة
 والسدى وعطاء عن ابن عباس ، وعلى هذا فهو فعل لازم ، وغرقاً على هذا
 معناه : نزعا شديداً ، أبلغ ما يكون وأشدّه . (البيان فى أقسام القرآن ١٧٠/١٧١)

٣ والساحات سبحا : قيل : الساحات هى النجوم تسبح فى الفلك ،

كما قال تعالى : كل فى فلك يسبحون (يس ٣٤/٢٠) وقيل السفن تسبح فى الماء ،
 قلت : والصحيح أنها الملكة والسياق يدل عليه ، وأما السفن والنجوم
 فانما تسمى جارية وجارى كما قال تعالى : ومن آياته الجوارى فى البحور للأعلام
 (الشورى ٤٢/٣٢) وقال : حلناكم فى المجارية (الحاقة ١١/٤٩) وقال :
 الجوار الكسب (التكوير ١٦/٨١) ولم يسمها ساحات ، وإن أطلق عليها
 فعل السباحة كقوله : كل فى فلك يسبحون ، ويدل عليه ذكره السابقات

بعدها والمدبرات بالفاء ، وذكره الثلاثة الأول بالواو ، لأن السبق و
التدبير مسبب عن المذكور قبله ، فانها نزعته ونشطت وسيحت فسبقته
إلى ما أمرت به فدبرته ، ولو كانت السابحات هي السفن أو النجوم أو
النفوس الآدمية لما عطف عليها فعل السبق والتدبير بالفاء ، فتأمل
البيان في أقسام القرآن (١٤٣ ، ١٤٥)

٥ قال المدبرات أمراً : أجمعوا على أنهن الملكة ، قال ابن عباس

رضي الله عنهما : هم الملكة وكلوا بأمر عرفتهم الله عز وجل العمل بها ،
وقال عبد الرحمن بن سابط : يدبر الأمر في الدنيا أربعة أملاك : جبريل
وميكائيل وإسرافيل وملك الموت واسمه عزرائيل (الحاظر ٢٠٥/٥ ، البيان ١٤٦)
قال ابن عطية : لا أحفظ خلافاً أنها الملكة ، ومعناه : أنها التي تدبر
الأمر التي سخرها الله تعالى وصرفها فيها كالرياح والسحاب وسائر المخلوقات
(البحر المحيط ٤١٩/٨)

وفي حل المدبرات على النجوم إيهام صحة ما يزعجه أهل الأحكام وجملة
المخمين وهو باطل عقلًا ونقلًا ، وكذا في حملها على النفوس الفاضلة المقادير
إيهام صحة ما يزعجه كثير من سخرية العقول من أن الأولياء يتصورون
بعد وفاتهم بنحو شفاء المريض وإنقاذ الغريق والنصر على الأعداء وغير
ذلك مما يكون في عالم الكون والفساد على معنى أن الله تعالى فوض إليهم
ذلك ، ومنهم من خص ذلك بخمسة من الأولياء والكل جهل (روح المعاني ٣/٢٨)

١٠ الحافرة : أي : في الحالة الأولى ، يعنون : الحياة ، من قولهم :

رجع فلان في حافرتي أي : في طريقته ، الملقى جاء فيها فحضرها أي : آثر فيها
بمشيه ، وتسميتها حافرة مع أنها محفورة كقوله تعالى : في عيشة راضية
(القاعدة ١٠١ / ٤) أي : منسوبة إلى الحضر والرضا ، أو كقولهم : نهاره
صائم ، على تشبيهه المقابل بالفاعل (أبو السعود ٩٤/٩)

١٤ فاذا هم بالسّاهرة : والسّاهرة : الأرض البيضاء

المستوية ، سميت بذلك لأن السّراب يجري فيها ، من قولهم : عين ساهرة : جارية الماء ، وفي صدها : نائمة ، وقيل : لأن سالكا لها لا ينام خوف الملكة ، وقيل : اسم لجهنم ، وقال الراغب : هي وجه الأرض .
(أبو السّعود ٩٨/٩)

٢٤ فقال أنار بكم الأعلى : قال ابن عطية : قول فرعون ذلك

لنافية في المخرقة ، ونحوها باق في ملوك مصر وأتباعهم ، وانما قال (أى) : ابن عطية ، ذلك لأن ملك مصر في زمانه كان إسماعيليا ، وهو مذهب يعقّدون فيه إلهية ملوكهم ، وكان أول من ملكها منهم المعز بن المنصور بن القائم بن المهدي عبيد الله ولأهم العاصد ، وطهر الله مصر من هذا المذهب الملعون بظهور الملك الناصر صلاح الدّين يوسف بن أيّوب بن سادى رحمه الله تعالى ، وجزاه عن الإسلام خيرا (البحر المحيط ٨/٢١٤ ، الدرر اللقيط ٨/٤١٨)

٣٤ الطامة الكبرى : أى : الداهية العظمى التي نظم

على سائر الطامات أى : تعلوها وتغلبها ، وهي القيامة أو النفخة الثانية .

(أبو السّعود ٩٨/١١٣)

عَبَسَ

نزلت هذه السورة في ابن أم مكتوم عمرو بن قيس رضي الله عنه ابن خال خديجة رضي الله عنهما ، وكان أعمى وهو من المهاجرين الاولين ، اتخلفه النبي صلى الله عليه وسلم على المدينة يصلي بالناس مراداً ، وكان يؤذن بعد بلال رضي الله عنه (المروزي ٣٨/٣٠)

قال ابن العربي المالكي : أمّا قول علمائنا : انه الوليد بن المغيرة وقال آخرون : انه أمية بن خلف ، فهذا كله ياتل وجعل من المفسرين الذين لم يتحققوا الدين ، وذلك أن أمية والوليد كانا بمكة ، وابن أم مكتوم كان بالمدينة ، ما حضر معهما ولا حضر معه ، وكان موتهما كافرين ، أحدهما قبل الهجرة والآخر في بدر ، ولم يقصد قط أمية المدينة ، ولا حضر عنده مفرداً ولا مع أحد (أحكام القرآن لابن العربي ٣/١٩٠٥، ١٩٠٦، ١٩٠٧، ١٩٠٨، ١٩٠٩، ١٩١٠، ١٩١١، ١٩١٢)

قال أبو حيان الغرناطي : والغلط من القرطبي (و ابن العربي) كيف ينفي حضور ابن أم مكتوم معهما ، وهو وهم منه ، وكلهم من قرئش ، وكان ابن أم مكتوم بها ، والسورة كلها مكية بالإجماع ، وكيف يقول : وابن أم مكتوم بالمدينة ؟ وإنه كان أو لا بمكة ثم هاجر إلى المدينة ، وكانوا جميعهم بمكة حين نزول هذه الآية ، وابن أم مكتوم هو : عبد الله بن سرح بن مالك بن ربيعة الفهري من بني عامر بن لؤي ، وأم مكتوم أم أبيه عاتكة ، وهو ابن خال خديجة رضي الله عنها (البحر المحييط ٤٢٧/٨)

و ابن أم مكتوم من المهاجرين الاولين ، كما في الصحيح عن البراء رضي

الله عنه قال : أول من قدم علينا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم مصعب بن عمير وابن أم مكتوم ، فبعدا يُقرّ آئنا القرآن ثم جاء عمار وسعد ، ثم جاء عمر بن الخطاب في عشرين ثم جاء النبي صلى الله عليه وسلم (مصايح السنة ٤ / ١٢٩)

١٤ عيسى وتولي : انه امية بن خلف ، وهو الذي تولى ، دون النبي صلى الله عليه وسلم ، ألا ترى أنه لم يقل : عبست (البرهان ٢ / ٢٤٣)

١١ انفا تذكرة : أي : هذه السورة والوصية بالمساواة بين الناس في ابلاغ العلم بين شريفهم ووضيعهم ، وقال قتاده والسدي يعني : القرآن (ابن كثير ٤ / ٤١)

١٥ بأيدي سفرة : قال وهب بن منبه : يعني أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم (ابن العربي ٤ / ١٩٠٦) لأن بعضهم سفيرا إلى بعض في الخير والتعليم والعلم (البحر المحيط ٨ / ٤٢٨)

التَّكْوِيرُ

٥ واذا الوحوش حشرت : الدليل على حشر الوحوش وجوه :

(١) قوله تعالى : وما من دابة في الأرض ولا طائر يطير بجناحيه الا أمم

أمثالكم ما فرطنا في الكتاب من شيء ندرى بهم يحشرون (الأنعام ٣٨)

(٢) قوله تعالى : واذا الوحوش حشرت (التكوير ٥٨/١)

(٣) حديث مانع صدقة الإبل والبقر والغنم ، وأنها تجي يوم القيامة أعظم

ما كانت وأسمنه ، تنطحه بقرونها وتطأوه بأظلافها ، وهو متفق

على صحته ، فقد رواه الإمام البخاري في صحيحه ١/ ١٨٨ ، ١٩٤ ، ١٩٤ ، و

كذا الإمام مسلم في صحيحه ١/ ٣١٨ .

(٤) حديث أبي ذر رضي الله عنه : أن النبي صلى الله عليه وسلم مشايتن يتطحان

فقال : يا أيها ذر أنت دري فيما ينتطحان ؟ قال : قلت لا ، قال : لكن

الله يدرى وسيقضى بينهما ، رواه الإمام أحمد في مسنده ٥/ ١٤٣ ، ٤٣ .

(٥) الآثار الواردة في قوله تعالى : يوم ينظر المرء ما قدمت يداه ويقول

الكافر يا ليتني كنت ترابا (النبا ٤٨/٤٠) وإن الله تعالى يجمع الوحوش

ثم يقتض من بعضها لبعض ، ثم يقول لها : كوني ترابا فتكون ترابا ، فعندها

يقول الكافر : يا ليتني كنت ترابا . (بدائع الفوائد ٣/ ١٨٣)

٧ واذا النفوس زوجت : (١) قرئت بأشكالها ، قاله عمر رضي

الله عنه : الصالح مع الصالح في الجنة ، والفاجر مع الفاجر في النار ، وهذا

قول الحسن وتنادة (زاد المير ٣٩/٩) أي : قرن كل صاحب عمل بشكله و

نظيره ، ففقرن بين المتحابين في الجنة ، وقرن بين المتحابين في طاعة

الشیطان في الجحيم ، فالمرء مع من أحب ، شاء أو أبى ، في مستدرک الحاكم

والمستند ١٤٥/ ١٤٠ عن النبي صلى الله عليه وسلم : لا يحب المرء قوماً إلا
 حشر معهم (زاد المعاد ٢٤٠/ ٤) (٢) ردت الأرواح إلى الأجساد فزوجت
 بها ، قاله الشعبي (زاد المير ٣٩١/ ٩) أي : وإذا زوجت الأرواح بأبدانها
 حين النشأة الآخرة ، قال عكرمة والفخاك والشعبي ، وفي هذا إيمان ، إلى
 أن النفوس كانت باقية من حين الموت إلى حين المعاد ، فبعد أن كانت
 منفردة عن البدن تعود إليه (المراعي ٥٥/ ٣٠)

١٥ فلا أقسم بالخنس : أكثر المفسرين على أن المراد هو
 الكواكب التي تدير راجعة تارة ومستقيمة أخرى ، وهذا القول قد قاله
 جماعة من المفسرين ، وأنها الكواكب الخمسة : زحل وعطارد والمشتري و
 المريخ والزهرة ، وروى عن علي واختاره ابن مقاتل وابن قتيبة قالوا :
 سماها خنساً لأنها في سيرها تتقدم إلى جهة المشرق ثم تخنس أو
 تتأخر ، وكنوسها استتارها في مغربها كما تكنس الأطباء وتقر من الوحوش
 إلى أن تأوى إلى كناسها وهي أكنستها ، وتسمى هذه الكواكب : المتخيرة ،
 لأنها تدير مستقيمة وتدير راجعة (مفتاح دار السعادة ٧/ ٩١٣)

إن الله قد أقسم بها كما أقسم بالليل والنهار والضحى والوالد والفجر
 وليال عشر والشفع والوتر وغير ذلك مما فيه التنبية على كمال ربوبيته وعزته
 وحكمته وقدرته وتدبيره ، وتنوع مخلوقاته الدالة عليه المرشدة إليه ،
 بما تضمنته من عجائب الصنعة وبديع الخلقة ، وتشهد لفاطرها وبارئها
 بأنه الواحد الأحد ، الذي لا شريك له ، وأنه الكامل في علمه وقدرته
 ومشيتته وحكمته وربوبيته وملكه ، وأنها مسخرة مذلة منقادة لأمره
 مطيعة لمراده منها ، ففي الإقسام بها تعظيم لحا لقها تبارك وتعالى ، وتنزيه
 له عما نسب إليه أعداؤه الجاهلون ، المعطلون لربوبيته وقدرته و
 مشيئته ووحدانيته ، وأنت من هذه عبيده ومماليكه وخلقه وصنعه

وإبداعه فكيف تجحد ربوبيته وإلهيته ؟ وكيف تنكر صفات كماله ونعوت
جلاله ؟ وكيف يسوع لذي حسن سليم وفطرة مستقيمة تعطيها عن صانعها
أو تعطيل صانعها عن نعوت جلاله وأوصاف كماله وعن أفعاله ؟ فإقسامه
بها أكبر دليل على فساد قول نزع المعطلة والمشركين الذين جعلوها آلهة
تعبد ، مع دلائل الحدوث والعبودية ، والتسخير والإتقاد عليها ، وأنها أدلة
على باريها وخالقها ، وعلى وحدانيته ، وأنه لا تنبغي الربوبية والإلهية لها
بوجه ما ، بل لا تنبغي إلا لمن فطرها وبرأها كما قال القائل :

تأمل سطور الكائنات فإنها من الملك الأعلى اليك رسائل
وقد خط فيها لو تأملت خطها إلا كل شيء ما خلا الله باطل

وقال آخر :

فوالله كيف يعصى الإله أم كيف يجحده جاحد ؟
والله في كل تحريكة وتكينة أيدٌ مُشاهِد
وفي كل شيء له آية تدل على أنه واحد

فلم يكن إقسامه بها سبحانه مقرا بذلك علم الأحكام الخومية كما يقول
الكاذبون المضنون ، بل مقرا بكمال ربوبيته ووحدانيته وتفرد بالخلق والإبداع
وكمال حكته وعلمه وعظمته - (مفتاح دار السعادة ٢/ ١١٣ ، ٤٠٦) -

١٤ - عسّس : قال الفراء : أجمع المضنون على أن معنى عسّس
أدبر ، قال : وكان بعض أصحابنا يزعم أن عسّس معناه : دنا من أوله
وأفلم ، قال ابن جرير : قال مجاهد : هو أقباله ، وقال قتادة : هو
إدباره ، وإليه ذهب الكلبي ، وكان أبو حاتم وقطرب يذهبان إلى أن هذا
الحرف من الأضداد ، وكان أبو عبيدة يقول ذلك أيضا ، وقال أبو اسحاق
ابن السري : عسّس البيل : إذا أقبل ، وعسّس : إذا أدبر ، قال : والعينان
يرجعان إلى شيء واحد ، وهو ابتداء الظلام في أدله وإدباره في آخره -

(تقذيب اللغة ١/ ٤٨٠ ، ٤٨١ ، لسان العرب ٤/ ١٣٩) -

١٩ - انه لقول رسول كريم : هو جبريل عليه السلام ، ولا يجوز أن يكون أراد به أنه قول النبي صلى الله عليه وسلم ، وإن كان النبي صلى الله عليه وسلم رسولاً كريماً ، لأن الآية وردت في معرض الرد والتكذيب لمقالة الكفار الذين قالوا إن محمداً صلى الله عليه وسلم يقول وهو قوله : فقال الله عز وجل : انه لقول رسول كريم ، فأضافه إلى جبريل الذي هو أمين وحيه ، وهو في الحقيقة قول الله تعالى لكنه أضيف إلى جبريل عليه السلام لأنه جاء به من عند الله ، وقوله تعالى : ذي قوة يدل على هذا ، كما قال فيه الله تعالى : ذو مرة فاستوى (النجم ٥٣/٦) وقال أيضاً مطاع ثم أمين ، وهذه كلها صفة جبريل عليه السلام (التعريف والإسلام / ١٨٠ ، ١٨١)

٢٤ - وما هو على الغيب بضنين : الغيب : الوحي ، كما في قوله تعالى في سورة التكوين : وما هو على الغيب بضنين ، يعنى على الوحي ، أى : على ما يوحى اليه ببخيل (قاموس القرآن / ٣٤٤) أى : الوحي وخبر السماء (الحازن / ٢١٥/٧) الغيب : القرآن و خبر السماء (القرطبي / ١٩/٢٤٢) أى : يخيل يشج به لا يبلغ ما قيل له ويخيل ، كما يفعل الكاهن حتى يعطي حلوانه وهو أجرة الكاهن . (البحر / ٨/٣٥٥ ، الحازن / ٤/٢١٥)

٢٨ - لمن شاء منكم أن يستقيم : يدل من العاملين . وهو يدل بعض من كل . وهذا من أحسن ما يستدل به على أن البدل في قوة ذكر عاملين مفسودين ، فإن جهة كونه ذكراً للعلمين كلهم غير جهة كونه ذكراً لأهل الاستقامة ، فإنه ذكر للعموم بالصلاحية والقوة وذكر لأهل الاستقامة بالحصول والنفع ، فكما أن البدل أخص من المبدل منه فالعامل المقدر فيه أخص من العامل المفلوظ في المبدل منه ، ولا بد من هذا فتأمل . وقوله : لمن شاء منكم رد على المجبرية ، القائلين بأن العبد لا مشيئة له ، أو أن مشيئته مجرد علامة على حصول الفعل لا ارتباط بينهما ، إذ مجرد اقتران عادي من غير أن يكون سبباً فيه ، وقوله : وما تشاءون إلا أن يشاء الله رد على القدرية ، القائلين بأن مشيئة العبد مستقلة بإيجاد الفعل من غير توقف على مشيئة الله ، بل متى شاء العبد الفعل وجد .

ويستحيل عندهم تعلق مشيئة الله بفعل العبد، بل هو يفعل بغير مشيئة الله
 فالآيتين مبطلتان لقول الطائفتين، فان قال الجبري: هو سبحانه لم يقل:
 ان الفعل واقع بمشيئة العبد، بل أخبر ان الاستقامة تحصل عند المشيئة
 ونحن قائلون بذلك؟ فقال القدرى: قوله: وما تشاءون الا ان يشاء الله
 مختلفة، فمشيئة العبد هي موجبة للفعل الذي يقع بها، ومشيئة الله لفعله
 هو أمره بذلك، ونحن لانكر ذلك؟

فالجواب: ان هذا من تحريف الطائفتين، أما الجبري فيقال له: اقتران الفعل
 عندك بمشيئة العبد بمنزلة اقترانه بكونه ومشكله وسائر أغراضه التي لا
 تأثير لها في الفعل، فان نسبة جميع أغراضه الى الفعل في عدم التأثير نسبة
 ارادية عندك، والاقتران حاصل بجميع أغراضه، فما الذي أوجب تخصيص المشيئة
 سوى الله سبحانه في فطر الناس أو عقولهم أو شرائعهم، بين نسبة المشيئة
 والإرادة الى الفعل، ونسبة سائر أغراض الحق وإذا كان عندك ليس الا مجرد الاقتران
 عادة؟ والاقتران العادي حاصل مع الجميع.

وأما القدرى فتحريفه أشد، لأنه حمل المشيئة على الأمر وقال المعنى:
 وما تشاءون الا بأمر الله، وهذا باطل قطعاً، فان المشيئة في القرآن لم تستعمل
 في ذلك، وإنما استعملت في مشيئة التكوين كقوله: ولو شاء الله ما اقتتلوا،
 (البقرة ٢/٢٥٣) وقوله: ولو شاء ربك ما فعلوه (الأنعام ٦/١١٢) وقوله: أفلم
 يبيأس الذين آمنوا أن لو يشاء الله لهدى الناس جميعاً (الرعد ١٣/٣١) وقوله:
 ولو شئنا لآتينا كل نفس هداها (السجدة ٣٢/١٣) ونظائر ذلك، مما لا يصح فيه
 حمل المشيئة على الأمر البتة.

والذي دلت عليه الآيات مع سائر أدلة التوحيد وأدلة العقل الصريح أن
 مشيئة العباد من جملة الكائنات التي لا توجد الا بمشيئة الله تعالى، فما لم يشأ
 لم يكن البتة، كما أن ما شاء كان ولا بد.

ولكن هذا أمراً يجب التنبيه عليه ، وهو أن مشيئة الله سبحانه تارة تتعلق
 بفعله ، وتارة تتعلق بفعل العبد ، فتعلقها بفعله ، وهو أن يشاء من نفسه
 إعانة عبده وتوقيفه وتهيئته للفعل ، فهذه المشيئة تستلزم فعل العبد ومشيئته .
 ولا يكفى في وقوع الفعل مشيئة الله لمشيئة عبده ، دون أن يشاء فعله ، فإنه
 سبحانه قد يشاء من عبده المشيئة وحدها . فيشاء العبد الفعل ، ويريده ولا
 يفعله ، لأنه لم يشأ من نفسه إعانته عليه وتوقيفه له . وقد دل على هذا
 قوله تعالى : وما يذكرن إلا أن يشاء الله (المدثر ٧٤/ ٥٧) وقوله : وما
 تشاءون إلا أن يشاء الله رب العلمين (الانسان ٧٤/ ٢)

وهاتان الأيتان متضمنتان لإثبات الشرع والقدر ، والأسباب والمسببات ،
 وفعل العبد واستناده إلى فعل الرب ، ولكل منها عبودية مختص بها ، فعبودية
 الأية الأولى : الاجتهاد واستفراغ الوسع والاختيار والسعي ، وعبودية الثانية :
 الاستعانة بالله والتوكل عليه والرجاء إليه واستنزال التوفيق والعون منه ،
 والعلم بأن العبد لا يمكنه أن يشاء ، ولا يفعل حتى يجعله الله كذاك ، وقوله :
 رب العلمين ينتظم ذلك كله ويتضمنه ، فمن عطل أحد الأمرين فقد محو
 كمال الربوبية وعطلها .

والشبيان في أقسام القرآن / ١٤٤ - ١٤٩

الْإِنْفِطَارُ

١- **انفطرت** : أى : تشققت بأمر الله لنزول الملكة كقوله

تعالى : ويوم تشقق السماء بالغمام ونزل الملكة تنزيلاً (الفرقان ٢٥/٢٥)

وقيل : تفطرت لهيبة الله تعالى ، والفطر : الشق ، يقال : فطرت فافطر ،

فطرناب البعير أى : طلع ، فهو بعير فاطر ، وتفطر الشيء : شقق ، وسيف

فطار أى : فيه شقوق (القرطبي ١٩/٢٤٤)

٢- **بعثت** : قال ابن عباس رضى الله عنهما : بعثت ، وقال

السدي : أثبرت بعث الأموات ، وقال الفراء : أخرج ما في بطنها من الذهب

والفضة (البحر المحيط ٨/٤٣٤)

٣- **ما عرك** : قال الزجاج : ما خدعك وسؤل لك حتى أضعفت

ما وجب عليك ؛ وقال غيره : المعنى : ما الذي أمك من عقابه وهو كريم متجاوز

إذ لم يعاقبك عاجلاً ؛ (زاد المسير ٩/٢٤٤)

٤- **الذي خالقك** : أى : قدّر خلقك من لطفة ، فسواك في بطن

أمك ، وجعل لك يدين ورجلين وعينين وسائر أعضاءك ، فعديك أى : أمالك

وهرفك إلى أمت صورة ما شاء ، وما حسناً وما قبيحاً ، وما طويلاً وما قصيراً .

(القرطبي ١٩/٢٤٤)

المُطَفِّفِينَ

١- **المُطَفِّفِينَ** : قال علماء اللغة : المطففون هم الذين يُقْصُونَ
المكيال والميزان ، وقيل له المطفّف ، لأنّه لا يكاد يهرق في الكيال والميزان ، إلّا
الشيء الطفيف ، مأخوذ من طَفَّ الشيء ، وهو جانبه ، ومنه الحديث : كلّمكم بنو آدم
طَفّاً الصاع ، يعنى : بعضكم قريب من بعض ، فليس لأحد على أحد فضل إلّا بالتقوى
(ابن العربي ٤ / ١٩٠٤)

قال عبد الملك بن الماجشون : نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن التطفيف
وقال : إن البركة في رأسه ، وقال : بلغني أن كيل فرعون كان طفاً مسحاً بالحديدة
قال علماء الدين : التطفيف في كل شيء ، في الصلوة والوضوء والكيل والميزان -
(ابن العربي ٤ / ١٩٠٨)

٢- **إذا اکتالوا على الناس** : صفة كاشفة للمطففين ، شارحة
لكيفية تطفيفهم ، الذي استحقوا به الذم والدعاء بالويل ، أى : إذا اکتالوا
من الناس مكيلهم بحكم الشراء وخوّه يأخذونه وافيّاً وافراً (ابو السعد ٩ / ١٢٤)
أى : من الناس ، فعلى بمعنى : من ، في قول المفسرين واللغويين ، قال الفراء :
(على) و (من) يعتقبان في هذا الموضع ، لأنك إذا قلت : اکتلت عليك فكأنك قلت :
أخذت ما عليك كيلاً ، وإذا قلت : اکتلت منك فهو كقولك : استوفيت منك كيلاً ،
قال الزجاج : المعنى : إذا اکتالوا من الناس استوفوا عليهم الكيل ، وكذلك إذا اتزنوا
ولم يذكر إذا اتزنوا ، لأن الكيل والوزن بهما الشراء والبيع فيما يُكال ويوزن ،
فأحدهما يدل على الآخر (زاد المسير ٩ / ٥٢)

١٤- **كَلَّابِل رَان** : قال أبو عبيدة : غلب عليها ، والخمر تزيّن على

عقل السكران ، والموت يرين على الميت فيذهب به ، ومن هذا حديث أ سفيح
 جهينة وقول عمر : فأصبح قد ريت به أي : غلب عليه وأحاط به الريب .
 وقال أبو معاذ النخعي : المرين أن يسود القلب من الذنوب ، والطبع أن يطبع
 على القلب وهو أشد من المرين ، والذئقال أشد من الطبع وهو أن يقفل على
 القلب ، وقال النضر : كثرت الذنوب والمعاصي منهم فأحاطت بقلوبهم فذاك
 المرين عليها . وقال مجاهد : هو الذنب على الذنب حتى تحيط الذنوب بالقلب تغشاه
 فيموت القلب ، وفي سنن النسائي والترمذي من حديث أبي هريرة عن رسول الله صلى الله
 عليه وسلم قال : إن العبد إذا أخطأ خطيئة نكتت في قلبه نكتة سوداء ، فإن هو
 نزع واستغفر وتاب صقل قلبه ، وإن زاد زيد فيها حتى تعلو قلبه ، وهو
 الران الذي ذكر الله : كذا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون . قال الترمذي : هذا
 حديث حسن صحيح ، وقال عبد الله بن مسعود : كلما أذنب نكتت في قلبه نكتة
 سوداء حتى يسود القلب كله . فأخبر سبحانه أن ذنوبهم التي اكتسبوها أوجبت
 لهم ريناً على قلوبهم ، فكان سبب الران منهم ، وهو خلق الله فيهم ، فهو خالق
 السبب ومسببه ، لكن السبب بإختيار العبد ، والمسبب خارج عن قدرته واختياره .
 (شفاء العليل / ١٤٤)

١٥ - لمحجوبون : قال ابن عباس : انهم عن النظر الى ربهم
 يومئذ لمحجوبون ، والمؤمن لا يحجب عن رؤيته ، وقال مالك بن أنس : لما حجب
 أعداءه فلم يروه تجلى لأوليائه حتى رأوه . وقال الشافعي : لما حجب قومًا
 بالسُّحط دل على أن قومًا يرونه بالرضى ، وقال الزجاج : في هذه الآية دليل
 على أن الله عز وجل يرى في القيامة ، ولولا ذلك ما كان في هذه الآية فائدة ،
 ولا خست منزلة الكفار بأنهم يحجبون عن ربهم (زاد المسير ٩/ ٥٤٠ ، ٥٤١)

٢٦ - فليتنافس المتنافسون : أي : فليجدوا في طلبه و
 ليحرصوا عليه بطاعة الله ، والتنافس : كالشَّحاح على الشيء والتنازع فيه (زاد المسير
 ٩/ ٥٤١)

٣٣ - وما أُرسلوا عليهم حافظين : أى : ان الله تعالى :

لم يرسل الكفار رقباء على المؤمنين ، ولم يؤتكم سلطة محاسبتهم
على أفعالهم ، ولتعريف باطلها من صحيحها ، فلا يسوغ لهم أن يعيبوا عليهم
ما يعتقدونه مذكراً بقولهم الفاسدة ، وإنما كلفهم أن ينظروا شؤون أنفسهم
فيعدّ لوامنها ما اعوجّ ، فاذا فعلوا ذلك قاموا بما يجب عليهم في هذه الحياة .
(المراعى ٢٩ / ٨٥) :

الإِشْتِقَاقُ

٦ - **انك كادح** : أى : ايها الانسان انك عاملٌ في هذه الحياة و
مجتهدٌ في عملك ، ومبالغٌ في ادراكك الغاية الى أن تنتهى حياتك ، وإن كنت لا تشعر
بجهدك ، أو تشعر به وتلهو عنه ، وكل خطوة في عملك فهي في الحقيقة خطوة
الى أجلك ، وهناك لقاء الله ، فالموت يكشف عن الروح غطاء الغفلة ويجلو لها
وجه الحق ، فتعرف من الله ما كانت تنكره ، ويوم البعث يرتفع الإلتباس ، و
يعرف كل عامل ماجراً اليه عمله (المرآة ٩٠/٢٩)

٩ - **وينقلب الى أهله مسروراً** : أزواجه في الجنة من الحور العين
مسروراً أى : مغتبطاً بقرير العين ، وقيل : إلى أهله الذين كانوا له في الدنيا ،
بمخلصه وسلامته ، والأول قول قتادة أى : إلى أهله الذين قد أعد لهم الله
له في الجنة (القرطبي ٢٧٢/١٩)

١٢ - **انه ظن أن لن يحور** : تعليل لسوره في الدنيا أى : ظن أن
لن يرجع الى الله تعالى لتذيبا للجهاد - (ابو السعود ١٣٣/٩)

١٤ - **فلا أقسم بالشفق** : الشفق هو الحمرة التي تشاهد في
الأفق الغربي بعد الغروب ، وأهله رقة الشيء ، يقال : ثوب شفق أى : لا
يتماسك لرقته ، ومنه : أشفق عليه أى : رقق له قلبه ، قال :
تقوى حياقي وأهوى موتها شفقاً ، والموت أكرم نزال على المحرم
وسق أى : ضم وجمع ، يقال : وسقه فالتسق واستوسق أى : جمعه فاجتمع ،
وإبل مستوسقة أى : مجتمعة ، قال :

إِنَّ لَنَا قَلِيلًا حَقَائِقًا مستوسقات لم يجدن سائقًا

والتساق أي : اجتمع نوره وصار بدرًا ، لتركن أي : لتلاق ، والطبق :

الحال المطابقة لغيرها ، قال الأقرع حابسي :

إني إمرؤٌ حلبت الدهرَ شطره

وساقتني طبقٌ منه إلى طبقٍ ،

والمراد : لتركن أحوالًا بعد أحوال هي طبقات في الشدة بعضها أرفع من

بعض ، وهي الموت وما بعده - (الراعي ٢٩ / ٩٣ ، ٩٤)

١٩- لتركن طبقًا عن طبق : الظاهر أنه جواب القسم ،

ويجوز أن يكون من القسم المحذوف جوابه ، ولتركن وما بعده مستأنف

التبيان في أقسام القرآن / ١٢٥ ، قيل : الخطاب في الآية للنبي صلى الله عليه وسلم

وله ثلاث معان : (١) لتركن سماءً بعد سماءٍ ، حتى تنتهي إلى حيث يصعدك الله ،

هذا قول ابن عباس في رواية مجاهد وقول مسروق والشعبي ، قالوا : والسماء طبق ،

ولهذا يقال للسموات : السبع الطباق - (٢) والمعنى الثاني : تصعدون درجة

بعد درجة ومنزلة بعد منزلة ورتبة بعد رتبة ، حتى تنتهي إلى محل القرب

والزلفى من الله - (٣) والمعنى الثالث : لتركن حالًا بعد حال من الأحوال المختلفة

التي نقل الله فيها رسوله صلى الله عليه وسلم من الهجرة والجهاد ونصره على

عدوه وإدالة العدو عليه تارة ، وغناه وفقره وغير ذلك من حالته التي

تنقل فيها إلى أن بلغ ما بلغه إياه - ومن قال : الخطاب للإنسان أو الجملة

الناس فالمعنى واحد ، وهو تنقل الإنسان حالًا بعد حالٍ ، من حين كونه نطفة

إلى مستقره من الجنة أو النار ، فكم بين هذين من الأ طباق والأحوال للإنسان ،

وأقوال المفسرين كلها تدور على هذا ، قال ابن عباس : لتبين الأُمور حالًا بعد

حالٍ (التبيان في أقسام القرآن / ١٤٦)

٢٣- والله أعلم بما يوعون : الوعى : حفظ القلب الشيء ،

وفي الحديث : نصر الله إمرؤً سمع مقاتل فوعاها ، فرب مبلغ روى من

سامع ، قال الأذهري : الوعى : الحافظ اليكس الفقيه ، وفي حديث أبي
 أمامة : لا يعدب الله قلباً وعى القرآن ، قال ابن الأثير (في النهاية ٢٠٨/٥)
 : أى عقله إيماناً به وعملاً ، فأما من حفظ ألفاظه وصيغ حدوده فإنه
 غير واع له ، قال الأذهري عن الفراء في قوله تعالى : والله أعلم بما يوعون ،
 قال : الإيعاء ما يجمعون في صدورهم من التكذيب والإثم ، وقال الجوهري :
 أى يضمرون في قلوبهم من التكذيب ، وفي الحديث : الإِسْقِيَاءُ مِنَ اللَّهِ
 حق الحياة أن لا تنسو المقابر والبلى ، والجوف وما وعى ، أى : ما جمع من
 الطعام والشراب حتى يكونا من جلّهما (لسان العرب ٣٩٦/١٥) .

البروج

١- **والسماوات البروج** : فسرت بالنجوم أو نوع منها ، وفسرت بالقصور العظام ، وكل ذلك من آيات قدرته وشواهد وحدانيته ، فإن السماوات ككرة متشابهة الأجزاء ، والشكل الكروي لا يتميز منه جانب عن جانب بطول ولا قصر ولا وضع ، بل هو مساوي الجوانب ، فجعل هذه البروج في هذه الكرة على اختلاف صورها وأشكالها ومقاديرها يستحيل أن توجد بغير فاعل ، ويستحيل أن يكون فاعلها غير قادر ولا عالم ولا مرید ولا حي ولا حكيم ولا مابين للمفعول ، وهذا ونحوه مما هدم قواعد الطبائع والملاحدة والفلاسفة الذين لا يثبتون للعالم رباً بأشقاداً فاعلاً بالإختيار عالماً بتفاصيله حكماً مدبراً له ، فبروج السماوات منازلها ، أو منازل السيارة التي فيها ، من أعظم آياته سبحانه ، فلهذا أقسم بها مع السماوات (التبيان / ١١٩)

٢- **واليوم الموعود** : أقسم باليوم الموعود ، وهو يوم القيامة ، وهو المقسم به وعليه (التبيان / ١٢٠ ، مفجمات القرآن / ١١٤)

٣- **وشاهد ومشهود** : قيل : شاهد هو يوم الجمعة ومشهود يوم معرفة وقال النخعي : شاهد يوم النحر ، وقال مجاهد : آدم (مفجمات القرآن / ١١٤) أقسم سبحانه بالشاهد والمشهود ، مطلقين غير معينين ، وأعم المعاني فيه : أنه المدرك والمدرك ، والعالم والمعلوم ، والرأي والمرئ ، وهذا أليق المعاني به ، وما عداها من الأقوال ذكرت على وجه التمثيل ، لا على وجه التخصيص ، فإن قيل فما وجه الارتباط بين هذه الأمور الثلاثة المقسم بها ؟ قيل وهي بحمد الله في غاية الارتباط ، والإقسام بها متناول لكل موجود في الدنيا والآخرة ، وكل منها ألية

مستقلة دالة على ربوبيته وإلهيته ، فأقسم بالعالم العلوي ، وهى السماء وما فيها من البروج ، التى هى أعظم المكنة وأوسعها ، ثم أقسم بأعظم الأيام وأجلها قدراً ، الذى هو مظهر ملكه وأمره وإهيته وثوابه وعقابه وجمع أوليائه وأعدائه والحكم بينهم بعلمه وعدله ، ثم أقسم بما هو أعم من ذلك كله ، وهو الشاهد والمشهود (التبيان / ١٦٠)

فمن نوى الحقيقة إلى شاهد ومشهود وهو أقدار القادرين ، كما نوتعها مرئى لنا وغير مرئى كما قال : فلا أقسم بما يتصورون وبما لا يتصورون (الحاقة ٢٩ / ٣٨) كما نوتعها إلى أرض وسما وليل ونهار ، وذكر وأنشئ ، وهذا التنويع والإختلاف من آياته سبحانه ، كذلك نوتعها إلى شاهد ومشهود ، وأيضاً يوم القيامة مشهود ، كما قال تعالى : ذلك يوم مجموع له الناس وذلك يوم مشهود (هود ١١ / ١٠٣) يشهده الله وملكته والإنس والجن والوحش من آياته ، والمشهود من آياته ، وأيضاً فكل ما مشهود ، كما قال تعالى : وقرآن الفجر إن قرآن الفجر كان مشهوداً (الإسراء ٤٨ / ١) يشهده ملائكة الليل وملائكة النهار ، فالمشهود من أعظم آياته وكذلك الشاهد فكل ما وقع عليه اسم شاهد ومشهود فهو داخل في هذا القسم ، فلا وجه لتخصيصه ببعض الأنواع أو الأعيان إلا على وجه التمثيل ، وأيضاً فكتاب الأبرار فى عليين يشهده المقربون ، فالكتاب مشهود والمقربون شاهدون (التبيان فى أقسام القرآن / ١٣١ ، ١٣٢)

٤ - قتل أصحاب الأخدود : هم ذونواس الحميرى وجوده وكان قد خدّ الأخاديد وهى : الخنادق وأهزم فيها النيران فجعل يلقي فيها كل من وحد الله واتبع العبد المالح الذى كان فى زمانه وهو عبد الله بن الثامر ، حتى أحرق نحواً من عشرين ألفاً ، وذونواس هذا اسمه زرعة بن تبيان بن سعد الحميرى ، وكان أيضاً يسمى يوسف ، وكان له غداً من شجر تنوس أى : تضرب فسمى ذونواس ، وكان فعل هذا أيضاً بأهل نجران فأقلت منهم رجل اسمه دوش ذو ثعلبان ، فساق

الحبشة لينتصر بهم فمكوا ليمن وهلك ذونواس في البحر، ألقى نفسه فيه (التقريب والاعلام / ١٨١، ١٨٢) - ذونواس (..... - ١٠٢ ق هـ = - ٥٢٤ م) هو ذونواس الخير آخر ملوك حمير في اليمن، في اسمه واسم أبيه اضطراب، كان يدين باليهودية، وبلغه أن أهل نجران مقبلون على النصرانية فسار إليهم وحفر أخاديد مستطيلة وملأها حجراً، وجمع أعيان المتنصرين منهم فعرضهم على النار فمن رجع إلى اليهودية نجا ومن أبى هوى (ابن الأثير ١/ ١٢٩، نهاية الأرب للنويري ١٥/ ٣٠٣)

١٥- ذو العرش: أضاف العرش إلى نفسه كما تضاف إليه الأشياء العظيمة الشريفة، وهذا يدل على عظمة العرش وقربه منه سبحانه وإخصاصه به، بل يدل على غاية القرب، كما يضيف إلى نفسه بـ ذوصفاته القائمة به كقوله: ذو الجلال والإكرام (الرحمن ٥٥/ ٢٤) فلو كان حظ العرش منه حظ الأرض السابقة لكان لا فرق أن يقال: ذو العرش وذو الأرض (التبيان ١٢٥)

١٥- المجيد: وصف نفسه بالمجيد، وهو المتضمن لكثرة صفات كماله وسعتها، وعدم إحصاء الخلق لها، وسعة أفعاله، وكثرة خيره ودوامه، وأما من ليس له صفات كمال ولا أفعال حميدة فليس له من المجد شيء، والخلق إنما يصير مجيداً بأوصافه وأفعاله، فكيف يكون الرب تبارك وتعالى مجيداً وهو معطل عن الأوصاف والأفعال؟ تعالى الله عما يقول المعطلون علواً كبيراً، بل هو المجيد الفعال بما يريد والمجد في لغة العرب كثرة أوصاف الكمال، وكثرة أفعال الخير، وأحسن ما قرن اسم المجيد إلى الحميد، كما قالت الملائكة لبیت الخليل عليه السلام كما في سورة هود ١١/ ٤٣: رحمة الله وبركاته عليكم أهل البيت إنه حميد مجيد (التبيان ١٢٥)

١٦- فعال لما يريد: دليل على أمور: (١) أنه سبحانه يفعل بإرادته ومشيئته. (٢) أنه لم يزل كذلك لأنه ساق ذلك في معرض المدح والتشارة على نفسه، وأن ذلك من كماله سبحانه، فلا يجوز أن يكون عادماً لهذا الكمال في وقت من الأوقات، وقد قال تعالى: أفمن يخلق كمن لا يخلق أفلا تذكرون (النحل ١٦/ ١٤)

وما كان من أوصاف كماله ونفوت جلاله لم يكن حادثاً بعد أن لم يكن - (٣) أنه إذا أراد شيئاً فعله ، فإن (ما) موصولة عامة أى : يفعل كل ما يريد أن يفعله - وهذا في إرادته المتعلقة بفعله ، وأما إرادته المتعلقة بفعل العبد قتلها شأن آخر ، فإن أراد فعل العبد ولم يرد من نفسه أن يعينه ويجعله فاعلاً لم يوجد الفعل وإن أراد ، حتى يريده من نفسه أن يجعله فاعلاً ، وهذه هي المكتنة التي خفيت على القدرية والجبرية ، وخطبوا في مسألة القدر لغفلتهم عنها ، فإن هنا إرادتين : إرادة أن يفعل العبد ، وإرادة أن يجعله الرب فاعلاً ، وليستا متلازمتين ، وإن لزم من الثانية الأولى من غير عكس ، فمتى أراد من نفسه أن يعين عبده وأن يخلق له أسباب الفعل فقد أراد فعله ، وقد يريد فعله ، ولا يريد من نفسه أن يخلق له أسباب الفعل فلا يوجد الفعل ، فإن اقتضى عليك فهم هذا الموضع وأشكل عليك فانظر إلى قول النبي صلى الله عليه وسلم حاكياً عن ربه قوله للعبد يوم القيامة : قد أردت منك أهون من هذا وأنت في صلب أهلك : أن لا تشرك بي شيئاً ، ولم يقع هذا المراد ، لأنه لم يرد من نفسه إرادته عليه وتوفيقه له - (٤) أن فعله سبحانه وإرادته متلازمان ، فما أراد أن يفعله فعله ، وما فعله فقد أراد ، بخلاف المخلوق فإنه يريد ما لا يفعل ، وقد يفعل ما لا يريد ، فما ثم فعال لما يريد ، لا الله وحده (٥) إثبات إرادة متعددة بحسب الأفعال ، وأن كل فعل له إرادة تخصه ، وهذا هو المعقول في الفطر ، وهو الذي يعقله الناس من الإرادة فشأنه تعالى أنه يريد على الدوام ويفعل ما يريد (٦) أن كل ما صالح أن تتعلق به إرادته جاز فعله ، فإذا أراد أن ينزل كل ليلة إلى سماء الدنيا ، وأن يجيئ يوم القيامة لفصل القضاء وأن يرى نفسه لعباده ، وأن يتجلى لهم كيف شاء ، وأن يخاطبهم ويضحك إليهم وغير ذلك مما يريد سبحانه ، لم يمتنع عليه فعله ، فإنه فعال لما يريد ، وإنما تتوقف صحة ذلك على إخبار الصادق به ، فإذا أخبر به وجب التصديق به ، و كان ردّه ردّاً كماله الذي أخبر به عن نفسه (التبيان/ ١٢٦ - ١٢٨)

٢٢ - في لوح محفوظ : أكثر القراء على الجبر، صفة بلوح ، وفيه

إشارة إلى أن الشياطين لو يمكنهم التزل به ، لأن محله محفوظ أن يصلوا اليه ، وهو في نفسه محفوظ أن يقدر الشيطان على الزيادة فيه والنقصان ، فوصفه سبحانه بأنه محفوظ في قوله : انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون (الحجر ٩/١٥) و وصف محله بالحفظ في هذه السورة ، فانه سبحانه حفظ محله ، وحفظه من الزيادة والنقصان والتبديل ، وحفظ معانيه من التحريف كما حفظ ألفاظه من التبديل ، وأقسام له من يحفظ حروفه من الزيادة والنقصان ، ومعانيه من التحريف والتغيير - (البيان / ١٣٠)

الطَّارِقُ

١- والسَّمَاءُ والطَّارِقُ : قد فسّره بأنه النجم الثاقب ، الذي
يثقب ضوءه ، والمراد به جنس ، لا نجم معين ، ومن عيّنه بأنه الشّريا أو زحل
فإن أراد التمثيل فصحيح ، وإن أراد التخصيص فلا دليل عليه ، والمقصود أنه
سحابة أقسم بالسَّمَاء ونجومها المضيئة ، وكل منها آية من آياته الدالة على
وحدانيته ، وسمى النجم طارقاً ، لأنه يظهر بالليل بعد اختفائه بضوء الشمس
فشبه بالطارق الذي يطرق الناس أو أهله ليلاً ، قال الفراء : ما أتاك ليلاً فهو
طارق ، وقال الزجاج والمبرد : لا يكون الطارق نهاراً ، ولهذا تستعمل العرب
الطروق في صفة الخيال كثيراً (التبيان / ١٣١)

٨- أنه على رجعه لقادر : أي على رجعه إليه يوم القيامة ، كما
هو قادر على خلقه من ماء هذا شأنه ، هذا هو الصحيح في معنى الآية ، وفيها
قولان ضعيفان : (١) قول مجاهد : على رد الماء في الإحليل لقادر (٢) قول عكرمة و
الضحاك : على رد الماء في الصلب ، والقول الصواب هو الأول لوجوه : (١) أنه هو
المعهود من طريقة القرآن من الاستدلال بالمبدأ على المعاد - (٢) أن ذلك أدل
على المطلوب من القدرة على رد الماء في الإحليل (٣) أنه لم يأت لهذا المعنى في القرآن
نظير في موضع واحد ، ولا أنكره أحد حتى يقيم سبحانه الدليل عليه (٤) أنه قيد
الفعل بالظرف وهو قوله : يوم تبلى السرائر ، وهو يوم القيامة أي : أن الله قادر
على رجعه إليه حيّاً في ذلك اليوم (٥) أن الضمير في (رجعه) هو الضمير في قوله :
فما له من قوة ولناصر ، وهذا الإنسان قطعاً لا للماء (٦) أنه لا ذكر للإحليل
حتى يتعين كون المرجع إليه ، فلو قال قائل : على رجعه إلى الفرج الذي صب فيه ،

لم يكن فرق بينه وبين هذا القول، ولم يكن أولى منه (٧) أن رد الماء إلى الإحليل أو الصلب بعد خروجه منه غير معروف، ولا هو أمر متبادر جرت به القدرة، وإن كان مقدوراً للرب تعالى، ولكن هو لم يجبره ولم تجرب به العادة، ولا هو مما تكلم الناس فيه نفيًا أو إثباتًا، ومثل هذا لا يقرره الرب ولا يستدل عليه وينسب على منكبيه، وهو سبحانه العاقل المستدل على أمروا وق ولا بد، وإما قد وقع ووجد أو سيقع - (٨) أنه سبحانه دعا إلى نسيان إلى النظر فيما خلق ليرد نظره عن تكذيبه بما أخبر به، وهو لم يجبره بقدرة خالقه على رد الماء في إحليله بعد مفارقتها له، حتى يدعو إلى النظر فيما خلق منه، ليستقبح منه جهة إماكنه رد الماء (٩) أنه لا ارتباط بين النظر في مبدأ خلقه ورد الماء في الإحليل بعد خروجه، ولا تشاؤم بينهما حتى يجعل أحدهما دليلًا على إماكن الآخر، بخلاف الارتباط الذي بين المبدأ والمعاد، والخلق الأول والخلق الثاني، والنشأة الأولى والنشأة الثانية، فانه ارتباط من وجوه عديدة، ويلزم من إماكن أحدهما إماكن الآخر، ومن وقوعه جهة وقع الآخر، فحسن الاستدلال بأحدهما على الآخر (١٠) أنه سبحانه نبه بقوله: **إِنْ كُلُّ نَفْسٍ لَّمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ**، على أنه قد وكلّ عليه من يحفظ عليه عمله ويحسبه فلا يضيع منه شيء (التبيان في أقسام القرآن / ١٣٥ - ١٣٦)

١- والسَّماواتُ الرُّجُوعُ : أُنقسم بالسماء، ورجعها بالطر، و

الأرضي، وصدعها بالنبات، قال الفراء : تبدى بالطر ثم ترجع في كل عام، وقال أبو اسحاق : الرجوع : المطر، لأنه يجيء ويرجع ويتكرر، وكذلك قال ابن عباس : تبدى بالطر ثم ترجع به في كل عام، والتحقق أن هذا على وجه التمثيل، ورجع السماء : هو إعطاء الخير الذي يكون من جهتها حالًا بعد حال على مرور الأزمان، ترجعه رجاءً أي : تعطيه مرة بعد مرة، والخير كله من قبيل السماء يجيء -

(التبيان في أقسام القرآن / ١٣٩)

الأعلى

تأمل سطور الكائنات فيا منها

من المليك الأعلى إليك رسائل

وقد خط فيهما - لوتاً ملئت خطها -

ألا كل شيء ما خلا الله باهل

(التبيان / ٢١١)

٩- فذكر إن نفعت الذكرى : (١) قال الجرجاني : التذكير واجب

وإن لم ينفع ، والمعنى : فذكر إن نفعت الذكرى أو لم تنفع فحذف ، كما قال :

سراييل نقيكم الحمر (النحل ٨١/١٤) (٢) رَأَتْ (رَأَتْ) بمعنى (ما) أي : فذكر

ما نفعت الذكرى ، فتكون (رَأَتْ) بمعنى (ما) لا بمعنى الشرط ، لأن الذكرى نافعة

بكل حال ، قاله ابن شجرة (القرطبي ٢٠/٢٠) (٣) قال قطرب : رَأَتْ (رَأَتْ)

معناه (قد) أي : فذكر قد نفعت ، الذكرى (البرهان في علوم القرآن ٣/٢١٨)

١٤- قد أفلح من تزكى : أخرج البزار وابن مردويه عن

جابر بن عبد الله رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال

في ذلك : من شهد أن لا إله إلا الله ، وخلق الأنداد ، وشهد أني رسول الله

(وذكر : سم ربه) بلسانه وقلبه ، لا بلسانه مع غفلة القلب ، إذا مثل ذلك

لأنثواب فيه ، فلا ينبغي أن يدخل فيما يترتب عليه الفلاح (روح المعاني ٣/١٢٩)

وأقول : يجوز أن يقال : تزكى أي : تطهر من الشرك بأن آمن بقلبه ،

وذكر : سم ربه أي : قال لا إله إلا الله ، فصلّى أي : الصلوة المفروضة -

(روح المعاني ٣/١٢٩)

الغاشية

١- هل أتاك : هل بمعنى : قد ، كقوله : هل أتى على الإنسان (الإسان ١/٤٣) قاله قطرب أي : قد جاءك حديث الغاشية ، أي : القيارة التي تغشى الخلائق بأحوالها وأفزعها ، قاله أكثر المفسرين ، وقال سعيد بن جبير ومحمد بن كعب : الغاشية : النار تغشى وجوه الكفار ، ورواه أبو صالح عن ابن عباس ، ودليله قوله تعالى : وتغشى وجوههم النار (ابراهيم ١٣/٥٠) وقيل : تغشى الخلق (القرطبي ٢٠/٢٦)

٢- عاملة ناصبة : أي : ظهر لهم يومئذ أنها كانت خاشعة عاملة ناصبة في الدنيا من غير نفع ، وأما قبل ذلك اليوم ، فكانوا يحسبون أنهم يحسنون صنعا ، وهؤلاء النساء من اليهود والنصارى (روح المعاني ٣٠/١٢٩) روى عن الحسن قال : لما قدم عمر بن الخطاب رضي الله عنه الشام أتاه راجع شيخ كبير متقهّل (أي : شعث وسخ) عليه سواد ، فلما رآه عمر بكى ، فقال له : يا أمير المؤمنين ما يبكيك ؟ قال : هذا المسكين طلب أمرا فلم يصبه ، ورجا رجاء فأخطأه ، وقرأ قول الله عز وجل : وجوه يومئذ خاشعة عاملة ناصبة. (القرطبي ٢٠/٢٤)

٣- عانية : الآتي : الذي قد انتهى حرقه ، من الإيذاء بمعنى التأخير ومنه أئيت وأذيت ، وأناه يؤنيه إيذاء أي : أخره وحبسه وأبطأه ، ومنه : يطوفون بينهما وبين جيم آين (الرحمن ٥٥/٤٤) وفي التفسير : من عين آنية أي : تناهى حرّها ، فلو وقعت نقطة منها على جبال الدنيا لذابت (القرطبي ٢٠/٢٩)

الفجر

١- والفجر: إن أريد به جنس الفجر كما هو ظاهر اللفظ فإنه يتضمن وقت صلاة الصبح، التي هي أولى الصلوات فافتتح القسم بما يتضمن أولى الصلوات وختمه بقوله: والليل إذا يسر، المتضمن لآخر الصلوات، وإن أريد بالفجر فجر مخصوص فهو فجر يوم النحر وليلته، التي هي ليلة عرفة، فتلك الليلة من أفضل ليالي العام، وما روى الشيطان في ليلة أذحر ولا أحقر ولا أغنيظ منه فيها، وذلك فجر فجر يوم النحر الذي هو أفضل الأيام عند الله، كما ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: أفضل الأيام عند الله يوم النحر، رواه أبو داود بإسناد صحيح، وهو آخر أيام العشر، وهو يوم الحج الأكبر، كما ثبت في صحيح البخاري وغيره. وهو اليوم الذي أذن فيه مؤذن رسول الله صلى الله عليه وسلم إن الله بريء من المشركين ورسوله، وأن لا يحج بعد العام مشرك ولا يطوف بالبيت عريان. (التبيين / ٥١)

٢- وليال عشر: هي عشر الأضحي، كما أخرجه أحمد والنسائي عن جابر مرفوعاً، وأخرجه ابن أبي حاتم من طريق ابن عباس، وأخرج من طريق عنه أيضاً: أنه العشر الأواخر من رمضان (مفحات القرآن / ١١٤)

٣- والشفع والوتر: ذكر سبحانه من جملة هذه الأقسام: الشفع والوتر، إذ هذه الشعائر المعظمة منها شفع ومنها وتر، في الأمكنة والأزمنة والأعمال، فالصفا والمروة شفع، والبيت وتر، والجهرات وتر، ومنى ومزدلفة شفع وعرفة وتر. وأمّا الأعمال فالطواف وتر، وركعتاه شفع، والسعي بين الصفا والمروة وتر، ورمي الجمار وتر، كل ذلك سبع سبع، وهو الأصل فإن الله وتر يحب الوتر، والصلوات

منها شفع ومنها وتر ، والوتر يوتر الشفع ، فتكون كلها وتر ، كما قال النبي صلى الله عليه وسلم : صلاة الليل مثنى مثنى ، فإذا خشيته الصبح فأوتر بواحدة توترك ما قد هيئت ، وأما الزمان فإن يوم عرفة وتر ، ويوم النحر شفع ، وهذا قول أكثر المفسرين (التبيان / ٥٢)

وعرف الفجر بالآدم إذ كل أحد يعرفه ، ونكر الليالي العشر لأنها تعترف بالعلم ، وأيضاً فإن التنيير تعظيم لها ، وفي تعريف الفجر ما يدل على شهرته ، وأنه الفجر الذي يعرفه كل أحد ولا يجهله (التبيان / ٥٤)

٥ - **لِذِي حَجَرٍ** : أي : لذي لُبٍّ وعقل ؛ وأصل الحجر : المنع ، يقال لمن ملك نفسه ومنعها : إنه لذو حجر ، ومنه سمي الحجر لأنه يمنع بصلابته ، ومنه : حجر الحاكم على فلان أي : منعه وضبطه عن التصرف ، ولذلك سميت الحجرة حجرةً لأنه متناع ما فيها بها ، وقال الفراء : العرب تقول : إنه لذو حجر : إذا كان قاهراً لنفسه ، ضابطاً لها ، كأنه أخذ من : حَجَرْتُ على الرجل (القرطبي / ٤٣/٢٠)

٦ - **الْمُتَرِّ** : كل ما في القرآن من ألم تُرْفَعناه : ألم تنجز ، ألم تعلم ، ليس من رؤية العين ، كقوله تعالى (الفرقان ٤٥/٢٥) : ألم تر إلى ربك كيف مد الظل - (أعراب ثلاثين سورة / ٧٥)

٩ - **جَابِلَا** : أي : قطعوا ، ومنه : فلان يجوب البلاد أي : يقطعها ، وإنما سمي جيب القميص لأنه جيب أي : قطع (القرطبي / ٤٧/٢٠)

١٠ - **ذِي الْأَوْتَادِ** : أي : الجنود والعساكر والمجموع والجيوش التي تشد ملكه قال ابن عباس ، وقيل : كان يعذب الناس بالأوتاد ، ويشدهم بها إلى أن يموتوا ، تجبر منه وعتوا ، وهكذا فعل بامرأته آسية وماشطة ابنته (القرطبي / ٤٨/٢٠)

١٣ - **سَوَاطِ عَذَابٍ** : أي : نصيب عذاب ، ويقال شدته ، لأن السوط كان عندهم نهاية ما يعذب به ، قال الشاعر : ألم تر أن الله أظهر دينه وهب على الكفار سوط عذاب

وقال الفراء: هي كلمة تقولها العرب لكل نوع من أنواع العذاب، وأصل ذلك
أن السوط هو عذابهم الذي يُعذبون به، فحُرى لكل عذاب، إذ كان فيه عندهم
غاية العذاب، وقيل معناه: عذاب يخالط اللحم والدم، من قولهم: ساطه بسوطه
سوطاً أي: خلطه فهو سائط. فالسوط: خلط الشيء بعضه ببعض، ومنه سُمي السوط
وساطه أي: خلطه فهو سائط (القرطبي ٤٩/٢٠)

٢٢- وجاء ربك: قيل هو من مجاز الحذف، تقديره: وجاء أمر ربك، وهذا
باطل من وجوه: (١) أنه انحصار ما لا يدل اللفظ عليه بمطابقة ولا تضمن ولا لزوم.
وإدعاء حذف ما لا دليل عليه يرفع الوثوق من الخطاب، ويطرق كل مبطل على إدعاء
انحصار ما يصحح باطله. (٢) رأت صحة التركيب واستقامة اللفظ لا تتوقف على هذا
المحذوف، بل الكلام مستقيم تام قائم المعنى بدون انحصار، فما انحصاره مجرد خلاف الأصل
فلا يجوز (٣) أنه إذا لم يكن في اللفظ دليل على تعيين المحذوف، كان تعيينه
قبلاً على التكلم بلا علم، وإخباراً عنه بإرادة ما لم يقم به دليل على إرادته، وذلك
كذب عليه (٤) أن في السياق ما يبطل هذا التقدير وهو قوله: وجاء ربك—
والملك صفاً صفاً، فحذف مجيء الملك على مجيئه سبحانه يدل على تغاثر المجيئين، وإن
مجيئه سبحانه حقيقة كما أن مجيء الملك حقيقة، بل مجيء الرب سبحانه أولى أن يكون
حقيقة من مجيء الملك. وكذلك قوله: هل ينظرون إلا أن تأتيهم الملائكة
أو يأتي ربك أو يأتي بعض آيات ربك (الدخان ١٥٨/٦) ففرق بين آيات الملائكة
وآيات الرب وآيات بعض آيات الرب، فقسم ونوع، ومع هذا التقسيم يمتنع أن
يكون القسمان واحداً، فتأمل، ولهذا منع عقلاء الفلاسفة حمل مثل هذا
اللفظ على مجازة وقالوا: هذا ياباه التقسيم والترديد والإطراء. (٥) أنه لو
صرح بهذا المحذوف المقدر لم يحسن، وكان كلاماً ركيكاً، فادعى صدق ما يكون
النطق به مشتركاً باطلاً، فإنه لو قال: هل ينظرون إلا أن تأتيهم الملائكة
أو يأتي ملك ربك أو أمر ربك أو يأتي بعض آيات ربك كان مستهجناً (٦) أن

أطراد نسبة الجبي والإيثان إليه سبحانه دليل الحقيقة ، وقد صرحتم بأن
 من علامات الحقيقة الإطراد ، فكيف كان هذا المطرد مجازاً ؟ (٧) انه لو كان
 الجبي والإيثان مستقيلاً عليه لكان كالأكل والشرب والنوم والغفلة ، وهكذا
 هو عندكم سواء ، فمضى عهدكم إطلاق الأكل والشرب والنوم والغفلة عليها
 ولست بها إليه نسبة مجازية وهي متعلقة بغيره ؟ وهل ذاك شيء من الكمال البتة ،
 فان قوله : وجاء ربك ، وأتى ، ويأتي عندكم في الإستحالة مثل : نام وأكل وشرب ،
 والله سبحانه لا يطلق على نفسه هذه الأفعال ولا رسوله صلى الله عليه وسلم ، لا بقرينة
 ولا مطلقة ، فضلاً عن تطرد نسبتها إليه ، وقد اطرد نسبة الجبي والإيثان والنزول
 والإستواء إليه مطلقاً من غير قرينة ، تدل على أن الذي نسب إليه ذاك غيره
 من مخلوقاته ، فكيف تسوغ دعوى المجاز فيه (٨) ان المجاز لو كان ثابتاً فاما يصار
 إليه عند التقدير الحمل على الحقيقة إذ هي الأصل ، فما الذي أحال حمل ذاك على
 حقيقته من عقل أو لقل أو اتفاق من إتفاقهم حجة ؟ فاما النقل والإتفاق فهو
 من جانب الحقيقة بلا ريب ، وأما العقل فاشكم تزعمون أنكم أولى به منهم ،
 وهم قد أطلوا جميع عقلياتكم ، التي لا جملها أديتم أن نسبة الجبي والإيثان و
 النزول والإستواء إلى الله مجاز - (٩) أن هذا الذي ادعوا حذفه وإضماره يلزمهم
 فيه كما لزمهم فيما أنكروه ، قالهم إذا قدرنا : وجاء أمر ربك ويأتي أمره ويجي
 أمره وينزل أمره ، فأمره هو كلامه وهو حقيقة ، فكيف يجي الصفة وتأتي وتنزل
 دون موصوفا ؟ وكيف ينزل الأمر ممن ليس هو فوق سوائه على عرشه ، ولما
 تفطن بعضهم لذلك قال : أمره بمعنى مأموره ، فالخلق والرزق بمعنى المخلوق و
 المرزوق ، فركب مجازاً على مجاز بزحمة ، ولم يصنع شيئاً فان مأموره هو الذي
 يكون ويخلق بأمره ، وليس له عندهم أمر يقوم به فلا كلام يقوم به ، وأما ذاك
 مجاز من مجاز الكناية عن سرعة الإفعال بمشيئته تشبهاً بمن يقول : كن ،
 فيكون الشيء عقيب تكوينه ، فركبوا مجازاً على مجاز ، ولم يصنعوا شيئاً ، فان

هذا المأمور الذي يأتي إن كان ملكاً فهو داخل في قوله : أوتيتهم الملائكة ، وإن كان شيئاً غير الملك فهو آية من آياته فيكون داخل في قوله : أوتيت بعض آيات ربك - (١٠) أن ما ادّعوه من الحذف والإضمار ، إنما أن يكون في اللفظ ما يقتضيه ويدل عليه أولاً ، فإن كان الثاني لم يجز إدعاءه ، وإن كان الأول كان كالمفوض به ، وعلى التقديرين فلا يكون مجازاً ، فإن المدلول عليه يمتنع

تقديره (مختصر الصواعق المرسلة ٢ / ١٠٤ - ١٠٨)

٢٧- يا أيتها النفس المطمئنة ارجعي الى ربك :

وفي وقت هذه المقالة ثلاثة أقوال للسلف : (١) أنه عند الموت ، وهو الأشهر ، قال الحسن : إذا أراد قبضها اطمانت الى ربها ، ورضيت عن الله فبرضى الله عنها (٢) إنما يقال لها ذلك عند البعث ، هذا قول عكرمة وعطاء والضحاك وجماعة . (٣) الكلمة الأولى ، وهي قوله : ارجعي الى ربك راضية مرضية ، يقال لها عند الموت . والكلمة الثانية وهي : فادخلي في عبادي وادخلي جنتي يقال لها يوم القيامة ، قاله أبو صالح ، والصواب : أن هذا القول يقال لها عند الخروج من الدنيا ويوم القيامة . فإن أول بعثها عند مفارقتها الدنيا ، وحينئذ هي في الرفيق الأعلى ، إن كانت مطمئنة الى الله ، وفي جنته ، كما دلت عليه الأحاديث الصحيحة ، فإذا كان يوم القيامة قيل لها ذلك - وحينئذ فيكون تمام الرجوع الى الله ودخول

الجنة (مدارج السالكين ٢ / ١٧٨ ، ١٧٩)

الى ربك أي : الى صاحبك وجسدك ، قاله ابن عباس وعكرمة وعطاء ، واختاره الطبري ، ووليله قراءة ابن عباس : فادخلي في عبادي ، على التوحيد ، فيأمر الله تعالى الأرواح عند أن ترجع الى الأجساد ، فادخل في عبادي أي : في أجساد عبادي - (القرطبي ٢٠ / ٥٨ ، ٥٩)

البلد

٢- وَأَنْتِ حِلٌّ بِهَذَا الْبَلَدِ : فيه أقوال : (١) أنه من الإحلال وهو ضد الحرام . (٢) أنه من الحلول وهو ضد الظعن أي : السفر ، فإن أريد به المعنى الأول فهو حلال ساكن البلد ، بخلاف المحرم الذي يحج ويعتمر ويرجع ، ولأن أمنه إنما تظهر به النعمة عند الحل من الإحرام ، وإلا ففي حال الإحرام هو في أمان ، والمحرم هناك للفعل لا للمكان ، والمفقود هو ذكر حرمة المكان ، وهي إنما تظهر بحال الحل الذي لم يتلبس بما يقتضي أمنه ، ولكن على هذا ففيه تنبيه ، فإنه إذا أقسم به وفيه الحلال ، فإذا كان فيه المحرام فهو أولى بالتعظيم والدأ من ، وكذلك إذا أريد المعنى الثاني وهو الحلول ، فهو متضمن لهذا التعظيم مع تضمنه أمراً آخر ، وهو الإقسام ببلده المشتغل على رسوله وعبداه ، فهو خير البقاع وقد اشتغل على خير العباد ، فجعل بيته هدىً للناس ونبيّاً إماماً وصادقاً لهم ، وذلك من أعظم نعمه وإحسانه إلى خلقه ، كما هو من أعظم آياته ودلائل وحدانيته وربوبيته فمن اعتبر حال بيته وحال نبيه وجد ذلك من أظهر أدلة التوحيد والربوبية (٣) أن المعنى : وأنت مستحل قتلك وإخراجك من هذا البلد الدمين ، الذي يأمن فيه الطير والوحوش والجان ، وقد استحل قوامك فيه حرمتك ، وهم لا يعصدون به شجرة ولا ينفرون به صيداً ، وهذا مروى عن شرحبيل بن سعد ، وعلى كل حال فهي جملة اعتراض في أثناء القسم ، موقعها من أحسن موقع وألطفه ، فهذا القسم متضمن لتعظيم بيته ورسوله والتبيين في أقسام القرآن / ٥٩ ، ٦٠

أي : وأنت مقيم بهذا البلد حال فيه ، وكأنه سبحانه جعل من أسباب شرف

مكة وعظمتها كونه صلى الله عليه وسلم مقبلا فيه ، ولا شك أن الأمانة
تشرف بشرف ساكنيها والنازلين بها ، وأقرب هذه الجملة ليفيد أن مكة
جيلة القدس في كل حال حتى في الحال التي لم يراع أهلها في معاملتك تلك
الحرمة التي خصها الله بها ، وفي هذا إيقاظ وتنبه لهم من غفلتهم

وتفريع على خط منزلة بلدهم (المرامى ٣٠ / ١٥٦)

٣- كيد : هو التنب وفسر بالنصب ، هذا قول مجاهد وسعيد بن جبير
والحسن ، ورواية عن علي بن عباس ، قال الحسن : لم يخلق الله خلقا يكابد
ما يكابد ابن آدم ، وقال سعيد بن أبي الحسن : يكابد مصائب الدنيا وشوائب
الآخرة ، وقال قتادة : يكابد أمر الدنيا والآخرة ، فلا تلقاه إلا في مشقة
(التبيين / ٥٤)

١- وهدية النجدين : يعني الطريقيتين : طريق الخير وطريق
الشر : بيتا هما له بما أرسلناه من الرسل ، والنجد : الطريق في ارتفاع ،
وهذا قول ابن عباس وابن مسعود وغيرهما (القرطبي ٢٠ / ٢٥٧)

٢- فلا اقتحم العقبة : أي : فلا أنفق ماله الذي يزعم
أنه أنفق في عداوة محمد صلى الله عليه وسلم ، فلا أنفق لإتمام العقبة
فيؤمن ، والإقحام : الرمي بالنفس في شيء من غير روية ، يقال منه : قحمت
في الأمر قحوماً أي : رمى بنفسه فيه (القرطبي ٢٠ / ٢٥٧)

واختلف في هذه العقبة ، هل هي في الدنيا أو في الآخرة ؟ فقالت طائفة :
العقبة ها هنا مثل ضربه الله تعالى لمجاهدة النفس والشيطان في أعمال البر
وحكوا ذلك عن الحسن ومقاتل ، قال الحسن : عقبة والله شديدة : مجاهدة
الإنسان نفسه وهواه وعدوه والشيطان ، وقال مقاتل : هذا مثل ضربه الله
يريد أن المعتق رغبة ، والمطعم اليقين ، والمسكين يقا حمله نفسه وشيطانه
مثل أن يتكلف صعود العقبة ، فشيء المعتق رغبة في شدته عليه بالكلية
لأنه يبتغي به الجنة ، فبذلك يتبين أن العقبة هي المجاهدة

صعود العقبة : وهذا قول أبي عبيدة (الشيبان / ٧٦)

١٤ - **ذى مسغبة** : أى : مجاعة ؛ والسغب : الجوع ،

والتغاب : الجائع ، وقال الخنسي : فى يوم عزيز فيه الطعام (القرطبي ١/ ٧٩)

١٥ - **ذاهتربة** : أى : لوشئ له حتى كأنه قد لصق بالتراب

من الفقر ، ليس له مأوى إلا التراب ، قال ابن عباس : هو الطروح على الطريق

الذى لا بيت له ، وقال مجاهد : هو الذى لا يقى من التراب لباس ولا غيره ،

وقال أبو حامد الخازنخى : المهترية هنا من التريب ، وهى شدة الحال ،

يقال : تريب : إذا افتقر ، قال المهدني : **له علة** ١ - ٢

وكنيت إذا ما الصيف حل بأرضنا شاة قليلا ،

سفلنا دماء البدرن فى ثرى الجبال ،

ن يلى ٢ - فلا ريب ، والشاة : ماعية ، أى : شاة ، (القرطبي ٢/ ٤٥٠)

سفلنا دماء البدرن فى ثرى الجبال ،

سفلنا دماء البدرن فى ثرى الجبال ،

سفلنا دماء البدرن فى ثرى الجبال ،

وله : **سبب** : قبيحة تبارك : **له لآن** ٢ - **وله آية** ٣

سفلنا دماء البدرن فى ثرى الجبال ،

سفلنا دماء البدرن فى ثرى الجبال ،

سفلنا دماء البدرن فى ثرى الجبال ،

سفلنا دماء البدرن فى ثرى الجبال ،

سفلنا دماء البدرن فى ثرى الجبال ،

سفلنا دماء البدرن فى ثرى الجبال ،

سفلنا دماء البدرن فى ثرى الجبال ،

سفلنا دماء البدرن فى ثرى الجبال ،

سفلنا دماء البدرن فى ثرى الجبال ،

الشَّمْسُ

١- وضحاها : أي : حوَّطها وإشراقها ، وهو قسم ثان.

وأضاف الصنعي إلى الشمس ، لأنه إنما يكون بإرتفاع الشمس ، وقال قتادة : بهاؤها ، وقال السَّدي : حرَّها (القرطبي ٤٢/٢)

٢- إذا تَلَّها : أي : والقمر إذا تَلَّ الشمس في الليالي البيض من الليلة الثالثة عشرة من الشهر إلى السادسة عشرة وقت إمتداده أو قربه من الإمتلاء حين يضيئ الليل كله من غروب الشمس إلى الغبر ، وهذا قسم بالصفء في طور آخر ، وهو ظهوره وانتشاره ليلاً كله ، وقد يكون المراد بتلَّها أي : تبعها في كل وقت ، لأن نوره مستمد من نور الشمس فهو لذلك يتبعها ، وقد قال بهذا الفراء قديماً وأثبتته علماء الفلك حديثاً (المرأني ٣٠ / ١٧٧)

٩- قد أفلح من زكَّاهَا : قال ابن قتيبة : يريد : أفلح من زكى نفسه أي : نماها وأعلىها بالطاعة والبر والصدقة واصطناع المعروف (التبيان ٤٢) وقالت طائفة : الضمير يرجع إلى الله سبحانه ، قال ابن عباس في رواية عطاء : قد أفلحت نفسي زكَّاه الله وأصلحها ، وهذا قول مجاهد وعكرمة والكلبي وسعيد بن جبير ومقاتل ، قالوا : سعدت نفسي و أفلحت نفسي أصلحها الله وطهرها ووفقها للطاعة ، حتى علمت بها ، وخابت وخسرت نفسي أصلها الله وأغواها وأبطلها وأهلكها (التبيان ٤٣)

١٠- وقد خاب من دسَّاهَا : أي : نقصها وأخفاها بترك عمل البر وركوب المعاصي ، والفاجر أبداً خفي المكان ، زمن المروءة ، غامض

الشخص ، ناكس الرأس ، فكان المتصف بارتكاب الفواحش دس نفسه وقبحها ، ومصطنع المعروف شهر نفسه ورفعها ، وقال أبو العباس : سألت ابن الأعرابي عن قوله : وقد خاب من دساها ؟ فقال : دسى معناه : دس نفسه مع الصالحين وليس منهم ، وعلى هذا فالمعنى : أخفى نفسه في الصالحين ، يرى الناس أنه منهم وهو منطوي على غير ما ينطوي عليه الصالحون (التبيان / ٤٣)

١٥ - ولا يخاف عقباها : (أى : فعل الله ذاك بهم غير خائف أن تلحقه تبعه التدممة من أحد ، قال ابن عباس والحسن وقتادة و مجاهد ، والهاء في عقباها ترجع إلى الفعلة ، كقوله صلى الله عليه وسلم : من اغتسل يوم الجمعة فيها ونعت أى : بالفعل والفصلة (٢) قال السدي والضحاك والكلبي : ترجع إلى العاقر أى : لم يخف الذي عقرها عقيب ما صنع ، وقاله ابن عباس أيضاً . وفي الكلام تقديم وتأخير ، مجازة : إذ انبعث أشقياء ولا يخاف عقباها (٣) وقيل : لا يخاف رسول الله صلى الله عليه وسلم عاقبة إهلاك قومه ، ولا يخشى ضرراً يعود عليه من عذابهم ، لأنه قد أُنذِرهم ، ونجاه الله تعالى حين أهلكهم (القرطبي ٢ / ٧٩ ، ٨٠)

البَل

٧ - فَنَسِيرُهُ لِلْيَسِيرِ : ذِكْرُ النَّاسِ لِلْيَسِيرِ ثَلَاثَةٌ

أَسْبَابُ : (١) إِعْطَاءُ الْعَبْدِ ، وَحَذْفُ مَقْصُولِ الْفِعْلِ إِرَادَةَ لِلْإِطْلَاقِ وَالنَّجْمِ
 أَيْ : أَفْعَلَ مَا أُسْرِبَهُ وَسَمَحَتْ بِهِ طَبِيعَتُهُ وَطَاوَعَتْهُ نَفْسُهُ ، وَذَلِكَ
 يَتَنَاوَلُ إِعْطَاءَهُ مِنْ نَفْسِهِ الْإِيمَانَ وَالطَّاعَةَ وَالْإِخْلَاصَ وَالْوَلِيَّةَ ، وَالشُّكْرَ
 وَإِعْطَاءَهُ الْإِحْسَانَ وَالنَّفْعَ بِهَا لَهُ وَلِسَانَهُ وَبَدَنَهُ وَنَيْتَهُ وَفَضْلَهُ ، فَتَكُونُ
 نَفْسُهُ نَفْسًا مُطِيعَةً بِإِذْنِهِ ، لَا لِنَفْسِهِ طَائِعَةً - (٢) وَالسَّبَبُ الثَّانِي : التَّقْوَى ،
 وَهِيَ اجْتِنَابُ مَا نَهَى اللَّهُ عَنْهُ ، وَهَذَا مِنْ أَعْظَمِ أَسْبَابِ التَّيْسِيرِ ، وَصَدَّقَهُ
 مِنْ أَسْبَابِ التَّيْسِيرِ ، فَالْمُتَّقِي مَبْتَوًى عَلَيْهِ أُمُورُ دُنْيَاهُ وَآخِرَتِهِ ، وَتَارَكَ
 التَّقْوَى وَإِنْ بَسُرَتْ عَلَيْهِ بَعْضُ أُمُورِ دُنْيَاهُ ، تَعَسَّرَ عَلَيْهِ مِنْ أُمُورِ آخِرَتِهِ
 بِحَسَبِ مَا تَرَكَهُ مِنَ التَّقْوَى ، وَأَمَّا تَيْسِيرُ مَا تَيْسَّرُ عَلَيْهِ مِنْ أُمُورِ الدُّنْيَا ،
 فَلَوْ اتَّقَى اللَّهُ لَكَانَ تَيْسِيرًا عَلَيْهِ أَلْتَمَّ ، وَلَوْ قَدَّرَ أَلْهَالَهُ تَيْسِيرًا لَهُ
 فَقَدْ يَسَّرَ اللَّهُ لَهُ مِنَ الدُّنْيَا مَا هُوَ أَنْفَعُ لَهُ مِمَّا نَالَهُ بِغَيْرِ التَّقَى ، فَإِنَّ
 طَيْبَ الْعَيْشِ وَنَعِيمَ الْقَلْبِ وَلَذَّةَ الرُّوحِ وَفَرْحَهَا وَاسْتِهَاجَهَا مِنْ أَعْظَمِ
 نَعِيمِ الدُّنْيَا ، وَهُوَ أَجَلُ مِنْ نَعِيمِ أَرْبَابِ الدُّنْيَا بِالشَّهَوَاتِ وَاللَّذَاتِ ، وَقَالَ
 نَعَالِي : وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ (الْإِطْلَاقُ
 ٣٠٢/١٥) وَهَذَا أَيْضًا يَيْسِّرُ عَلَيْهِ بِتَقْوَاهُ ، وَقَالَ : وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَكْفِّرْ عَنْهُ
 سَيِّئَاتِهِ وَيُعْظِمْ لَهُ أَجْرًا (الْإِطْلَاقُ ٥/٦٥) وَهَذَا تَيْسِيرٌ عَلَيْهِ بِإِزَالَةِ
 مَا يَمْنَحُوهَ وَإِعْطَائِهِ مَا يَحِبُّ وَيَرْضَاهُ ، وَقَالَ : يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تَتَّقُوا اللَّهَ
 يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَانًا وَيُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ (الْأَنْفَالُ ٢٩/٨)

وهذا تيسير بالفرقان المتضمن النجاة والنصر والعلم والنور، الفارق بين الحق والباطل وتكفير السيئات ومغفرة الذنوب، وذلك غاية التيسير، وقال تعالى : **وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ** (آل عمران ٣/١٣٠) والفلاح غاية اليسر كما أن الشقاء غاية العسر - (٣) السبب الثالث : التصديق بالحسن وفُسرت بلا اله إلا الله ، وفُسرت بالحقبة ، وفُسرت بالخلف ، وهي أقوال السلف ، واليسرى صفة الموصوف محذوف ، أي : الحالة والحقبة اليسرى ، وهي الفعل من اليسر ، والأقوال الثلاثة ترجع إلى أفضل الأعمال وأفضل الجزاء ، فمن فُسرها بلا اله إلا الله فقد فُسرها بمفرد بآي بكل جمع ، فإن التصديق الحقيقي بلا اله إلا الله يستلزم التصديق بشعبها وفروعها كلها وجميع أصول الدين وفروعه من شعب هذه الكلمة والتبيين في أقسام القرآن / ٨٣ - ٨٥

١١- إِذَا تَرَدَّى : أي : مات ، يقال : رَدَّى الرجل يَرُدُّ رَدًى : إذا هلك ، قال أبو صالح وزيد بن أسلم : إذا تَرَدَّى : سَقَطَ في جهنم ، ومنه المتردية ، ويقال : رَدَّى في البئر وتردَّى : إذا سقط في بئر أو تهوَّر من جبل ، يقال : ما أدرى أين رَدَّى أي : أين ذهب ؟ و (ما) يحتمل أن تكون محذوفاً أي : ولا يعني عنه ماله شيئاً ، ويحتمل أن تكون استقفاً معناه التوبيخ أي : أي شيء يعني عنه إذا هلك ووقع في جهنم (القرطبي ٣٠/ ٨٦)

١٢- إِنَّ عَلَيْنَا لَلْهُدَى : أي : إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ وَالْهَمَاهُ التَّمْيِيزُ بَيْنَ الْحَقِّ وَالْبَاطِلِ ، وَبَيْنَ الْخَيْرِ وَالشَّرِّ ، ثُمَّ بَعَثْنَا لَهُ الْكَلِمَةَ مِنْ أَفْرَادِهِ ، وَهُمْ الْأَنْبِيَاءُ وَشَرَعْنَا لَهُمُ الْأَحْكَامَ وَبَيَّنَّا لَهُمُ الْعِقَاقِدَ تَعْلِيمًا وَإِرْشَادًا ، ثُمَّ هُوَ بَعْدَ ذَلِكَ يَخْتَارُ أَحَدَ السَّبِيلَيْنِ : سَبِيلَ الْخَيْرِ وَالْفَلَاحِ ، وَالسَّبِيلَ الْمَعْوَجَ فَيَتَرَدَّى فِي الْهَادِيَةِ ، وَقَصَارَى ذَلِكَ : أَنَّ الْإِنْسَانَ

خلق نوعاً ممتازاً عن سائر الميوان بما أوتيته من العقل، وبما وضع له
من الشرائع التي تهديه إلى سبيل الرشاد (المراعي ٣٠ / ١٤٨)

١٩- وما لأحد عنده من نعمة : وفي الآية الإرشاد
إلى أن صاحب التقوى لا ينبغي له أن يتحمل من الخلق ونعمهم، وإن
حمل منهم شيئاً باذراً إلى جزائهم عليه، لئلا يبقى لأحد من الخلق عليه
نعمة تجزى، فيكون بعد ذلك عمله كله لله وحده، ليس للمخلوق جزاء على
نعمته، ونبه بقوله : تجزى على أن نعمة الإسلام، فإنها لا يمكن المنعم
بها عليه أن يجزى بها، وهذا يدل على أن الصديق رضي الله عنه أول و
أولى من ذكر في هذه الآية، وأنه أحق الأمة بها، فإن علياً رضي الله عنه
تربي في بيت النبي صلى الله عليه وسلم، فلرسول الله صلى الله عليه وسلم عنده
نعمة غير نعمة الاسلام، يمكن أن تجزى (التبيان أقسام القرآن ٩٩)

الصَّحِي

١- والصَّحِي والِيلين : أَقْسَمَ بِأَيَّتَيْنِ عَظَمَتَيْنِ مِنْ آيَاتِهِ ،

وَالَّتَيْنِ عَلَى رُبُوبِيَّتِهِ وَحُكْمَتِهِ وَرَحْمَتِهِ ، وَهِيَ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ ، فَتَأْمَلُ مِطَابَقَةَ هَذَا الْقَسَمِ ، وَهُوَ نُورُ الصَّحِي الَّذِي يُوَافِي بَعْدَ ظُلَامِ اللَّيْلِ لِلْمَقْسَمِ عَلَيْهِ ، وَهُوَ نُورُ الْوَحْيِ الَّذِي وَافَاهُ بَعْدَ احْتِبَاسِهِ عَنْهُ ، حَتَّى قَالَ أَعْدَاؤُهُ : وَدَّعَ مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَبَّهُ ، فَأَقْسَمَ بِضُوءِ النَّهَارِ بَعْدَ ظُلْمَةِ اللَّيْلِ عَلَى ضُوءِ الْوَحْيِ وَنُورِهِ بَعْدَ ظُلْمَةِ احْتِبَاسِهِ وَاجْتِبَاهِهِ ، وَأَيْضًا فَإِنَّ فَالِقَ ظُلْمَةِ اللَّيْلِ مِنْ ضُوءِ النَّهَارِ هُوَ الَّذِي فَالِقَ ظُلْمَةَ الْجَهْلِ وَالشُّرْكَ بِنُورِ الْوَحْيِ وَالنَّبُوءَةِ ، فَهَذَانِ لِلْحَقِّ وَهَذَانِ لِلْعَقْلِ ، وَأَيْضًا فَإِنَّ الَّذِي اقْتَضَتْ رَحْمَتُهُ أَنْ لَا يَبْتَكَرَ عِبَادُهُ فِي ظُلْمَةِ اللَّيْلِ سَرْمَدًا ، بَلْ هَدَاهُمْ بِضُوءِ النَّهَارِ إِلَى مَصَالِحِهِمْ وَمَعَايِشِهِمْ ، لِأَيُّ لِقَ بِهِ أَنْ يَبْتَكَرَهُمْ فِي ظُلْمَةِ الْجَهْلِ وَالنَّعْيِ ، بَلْ يَهْدِيهِمْ بِنُورِ الْوَحْيِ وَالنَّبُوءَةِ إِلَى مَصَالِحِ دُنْيَاهُمْ وَآخِرَتِهِمْ ، فَتَأْمَلُ حَسْنَ الرِّبَاطِ الْمَقْسَمِ بِهِ بِالْحَقِّ عَلَيْهِ ، وَتَأْمَلُ هَذِهِ الْجِزَالَ (أَيُّ : الْفَصَاحَةِ) وَالْمُرُوءَةَ الَّذِي عَلَى هَذِهِ الْأَلْفَافِ ، وَالْجِلَالَةِ الَّتِي عَلَى مَعَانِيهَا (التَّبَيُّانُ / ١٠٠ ، ١٠١)

٣- وَمَا قُلِي : أَيْ : مَا أَبْغَضَ ، يُقَالُ : قُلَاهُ يُقَالِيهِ : إِذَا أَبْغَضَهُ ،

وَيُقَالُ : قُلَاهُ يُقَالِيهِ (أَعْرَابُ شَلَاثَيْنِ سُورَةُ / ١١٤) مَا أَبْغَضَكَ رَبُّكَ مِنْسَدًا أُنْجَبُ ، وَانْقَلَى : ابْتِغَضَ (الْفَرْطِيُّ ٢٠ / ٩٤)

٤- وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَى : (١) أَيْ : غَافِلًا عَنَّا يُرَادُّ بِكَ مِنْ

أَمْرِ النَّبُوءَةِ فَهَذَا كَأَيْ : أُرْشِدَكَ ، وَالضَّلَالُ هُنَا بِمَعْنَى الْغَفْلَةِ كَقَوْلِهِ جَلْ شَاءَ : لَا يَصِلُ رَبِّي وَلَا يَنْسِي (طه ٥٢ / ٢) أَيْ : لَا يَغْفُلُ ، وَقَالَ فِي حَقِّ نَبِيِّهِ : وَإِنْ

كنت من قبله لمن الغافلين (يوسف ١٢/٣) (٢) وقال قوم : ضالاً أئى :
 لم تكن تدرى القرآن والشرايع ، فهداك الله إلى القرآن وشرايع الإسلام ،
 هذا من الضحك وشهرين حوشب وغيرهما ، وهو معنى قوله تعالى : ما كنت
 تدرى ما الكتاب ولا الإيمان ولكن جعلناه نورا في الشورى (٥٢/٤٢) (٣) ضالاً
 أئى : ناسياً شأن الاستثناء حين سئلت عن أصحاب الكهف وذى القرنين
 والروح فأذكرك ، كما قال تعالى : أن تفضل إحداها فتذكر إحداهما
 الأخرى (البقرة ٢/٢٨٢) (٤) وجدك محباً للهداية فهداك إليها ،
 ويكون الضلال بمعنى : المحبة ، ومنه قوله تعالى : انك لفي ضلالك القديم
 (يوسف ١٢/٩٥) أئى : في محبتك القديم - (٥) قال بعض المتكلمين : إذا
 وجدت العرب شجرة منفردة في فلاة من الأرض لا شجر معها ستوها ضالة
 فيهدى بها إلى الطريق ، فقال الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم : و
 وجدك ضالاً أئى : لا أحد على دينك وأنت وهيد ليس معك أحد ،
 فهديت بك الخلق إلى (القرطبي ٢٠/٩٩-٩٩)

٩- فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ : في الآية دلالة على الإغناء

بشأن اليتيم (روح المعاني ٣٠/١٨٨) أئى : لا تقهره بظلمه وأخذ ماله ،
 وخص اليتيم لأنه لا ناصر له غير الله ، فغلظ في أمره لتخليط العقوبة
 على ظالمه ، وقد روى عن النبي صلى الله عليه وسلم : اتقوا ظلم من لا ناصر
 له غير الله (المجاص ٣/٤٧٣)

١٠- وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ : أئى : فلا تزجره ولكن تفضل

عليه بشيء أو زجره بقول جميل ، وأريد به عند جمع السائل المستجدي
 الطالب لشيء من الدنيا (روح المعاني ٣٠/١٨٩) فيه نهى عن غلاظ القول
 له ، لأن الإتهار هو الزجر وغلاظ القول ، وهذا وإن كان خطاباً للنبي
 صلى الله عليه وسلم فإنه قد أريد به جميع المطّفين (المجاص ٣/٤٧٣)

قال ابراهيم بن ادهم : نعم القوم السُّؤال يحملون زادنا إلى الآخرة ،
وعن ابراهيم النخعي : السائل بريدة الآخرة ، يجيء إلى باب أحدكم فيقول :
أتبعثون إلى أهليكم بشيء (القرطبي ١٠١ / ٢ ، روح المعاني ١٨٩ / ٢)
قال أبو الدرداء والحسن وسفيان وغيرهم : المراد بالسائل هنا : السائل
عن العلم والدين (روح المعاني ١٨٩ / ٣) والمراد بالسائل هنا : الذي يسأل
عن الدين أي : فلا تنهره بالفجلة ولجفوة وأجبه برفق ولين ، قاله سفيان
(القرطبي ١٠١ / ٢)

والتحقيق أن الآية تتناول النوعين (التيان في أقسام القرآن / ١٠٣)
وأما السائل عن الدين فغوايه فرض على العالم على الكفاية (ابن العربي ١٩٢٤ / ٢ ، القرطبي ١٠١ / ٢)
ثم النهي على النهر على ما قالوا إذا لم يلج في السؤال ، فإن ألح ولم ينفج الرد اللين
فلا بأس بالزجر (روح ١٨٩ / ٣)

١- وأما بنعمة ربك فحدث (١) قال مجاهد : بالقرآن ،

وقال الكلبي : بمعنى أظهرها ، والقرآن أعظم ما أنعم الله به عليه ، فأمره
أن يقرئه ويعلمه (٢) وروى أبو البشر عن مجاهد : حدث بالنبوة التي
أعطاك الله ، وقال الزجاج : بلغ ما أرسلت به وحدث بالنبوة التي أتاك ،
وهي أجل النعم (٣) وقال مقاتل : أشكر هذه النعمة التي ذكرت في هذه
السورة — والحقيق أن النعم نعم هذا كله ، فأمر أن لا ينهر سائل العرف
والعلم ، وأن يحدث بنعم الله عليه في الدين والدنيا (التيان / ١٠٣)

مسئلة : يكبر القارئ في رواية البرقي عن ابن كثير — وقد رواه

مجاهد عن ابن عباس ، عن أبي بن كعب عن النبي صلى الله عليه وسلم — إذا
بلغ آخر الصلوة كبّر بين كل سورة تكبيرة إلى أن يختم القرآن ، ولا يصل
آخر السورة بتكبيرة ، بل يفصل بينهما بسكتة ، وكأنّ المعنى في ذلك أن
الوحي تأخر عن النبي صلى الله عليه وسلم أيّاماً ، فقال له ناس من المشركين :

قد ودعه صاحبه وقلاده ، فنزلت هذه السورة فقال : الله أكبر ، قال مجاهد :
قرأت على ابن عباس فأمرني به وأخبرني به عن أبي عن النبي صلى الله عليه
وسلم (القرطبي ١٠٣ / ٢٠)

عن حميد عن مجاهد أنه كان يكبر من خاتمة والهي إلى خاتمة قل
أعوذ برب الناس ، وإذا ختمها قطع التكبير ، وأسد الداني أيضا عن سفیان
ابن عيينة قال : رأيته حميدا الأعرج يقرأ والناس حوله ، فإذا بلغ والهي
كبر ، وإذا ختم كل سورة حتى يجتمعه (النشر في القراءات العشر ٤١٤ / ٢)

الم نشرح

١- الم نشرح لك صدرك؟ يعني: أما شرحنا لك صدرك؟

أى: نودناه وجعلناه فيجاً رحيباً واسعاً، كقوله تعالى: فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام (الأنعام ١٢٥/٤) وكما شرح الله صدره لك إذ جعل شرعه فيجاً واسعاً سهلاً لا خرج فيه ولا إصر ولا ضيق (ابن كثير ٤/٤٥٨) وشرح الصدر: تنويره بالحكمة وتوسيعه لتلقى ما يوحى إليه، قاله الجمهور، والأولى العموم لهذا ولغيره: من مقاساة الدعاء إلى الله تعالى وحده واحتمال المكافاة من إداية الكفار، وقال ابن عباس وجماعة: إشارة إلى شق جبريل عليه السلام صوره في وقت صغره، ودخلت همزة الاستفهام على النفي فأفاد التقرير على هذه النعمة وصار المعنى: قد شرحنا لك صدرك، ولذلك عطف عليه الماضي وهو: ووضعنا، وهذا نظير قوله في سورة الشعراء ١٨/٢٤:

ألم نربك فينا وليداً؟ ولبثت (البحر المحيط ٨/٤٨٤)

٢- ووضعنا عنك وزرك: أى: حططنا عنك ما أثقل ظهرك

من أعباء الرسالة حتى تبلفها، فجعلنا التبليغ عليك سهلاً ونفسك به مطمئنة داعية (السرايى ٣٠/١٨٩)

٣- ورفعنا لك ذكرك: أى: وجعلناك على الشأن رفيع المنزلة،

عظيم القدر، وأتى منزلة أرفع من النبوة التي منحها الله؛ وأتى ذكر أئنه من أن يكون لك في كل طرف من أطراف المعمورة أتباع يمشون أوامرهم و يحشون بأوامرهم ويرون طاعتك مغنماً ومعصيتك مغزماً، وهل من خيار بعد ذكرك في كلمة الإيذان مع العلى الرحمن؟ وأتى ذكر أرفع من ذكر من فرض الله

على الناس إلا قرار بنبوته ، وجعل الإعراف برسالته بعد بلوغ دعوته شرطاً
 في دخول جنته ، هذا إلى أنه صلى الله عليه وسلم أنقذ أمماً كثيرة من رق
 الذُّوْهام وفساد الأحلام ، ورجع بهم إلى الفطرة الأولى من حرية العقل والإرادة ،
 والإصابتة في معرفة الحق ، ومعرفة من يقصد بالعبادة ، فاتحدت كلمتهم في
 الإمتقاد بإله واحد بعد أن كانوا متفرقين طرائق قدداً ، عبَادُ أَصْنَامٍ وَأَوْثَانٍ
 وَشُمُوسٍ وَأَقْمَارٍ ، لا يجدون إلى الهدى سبيكاً ، ولا الوصول إلى الحق طريقاً ،
 فأدّاح عنهم تلك الغُفّة ، وأُناز لهم طريق الهدى والرشاد (الراعي ١٨٩ / ٣٠ ، ١٩٠٠)
 قال مجاهد : يعنى بالتأذين (القرطبي ١٠٦ / ٢٠) وفيه يقول حسان بن ثابت رضي الله عنه :
 أَفْرَأَ عَلَيْهِ لِنَبْوَةٍ فَاتَمَّ رَأْيُ اللَّهِ مَشْهُودٌ بِلُجٍّ وَيُشْهَدُ
 وَظَمَ إِلَهِهُ اسْمَ النَّبِيِّ إِلَى اسْمِهِ ؛ إِذَا قَالَ فِي الْخَمْسِ الْمَوْذُنَ أَشْهَدُ
 وَشَقَّ لَهُ مِنْ اسْمِهِ لِيُجَبَّهَ ؛ فَذُو الْعَرْشِ مُحَمَّدٌ وَهَذَا مُحَمَّدٌ

(ديوان حسان / ١٣٤)

٧- فَاذْفَرَعْتَ فَانْصِبْ : (١) إِذَا فَرَعْتَ مِنَ الصَّلَاةِ الْكَتُوبَةَ فَانْصِبْ

إلى ربك في الدعاء ، قاله ابن عباس وقتادة والضحاك ومقاتل وابن جرير ١٥٢ / ٣ ،
 التفسير الكبير ٤ / ٣٠ ، لباب التأويل ٤ / ٢٤٥ ، معالم التنزيل ٤ / ٢٤٥ ، مراح اللبيب
 ٢ / ٤٥٣ (٢) قال الحسن : أمره إذا فرغ من عزوه أن يجتهد في الدعاء والعبادة
 (ابن جرير ١٥٢ / ٣) (٣) قال ابن مسعود : إذا فرغت من الفرائض فانصب في
 قيام الليل (القرطبي ١٠٨ / ٢٠ ، ١٠٩)

ومن المبتدعة من قرأ هذه الآية : فَأَنْصِبْ — بكسر الصاد والهمزة في أوله
 — وقالوا معناه : أنصب الإمام الذي يختلف ، وهذا باطل في المعنى ، لأن النبي
 صلى الله عليه وسلم لم يختلف أحدًا (ابن العربي ٤ / ١٩٤٩ ، القرطبي ١٠٩ / ٢٠)

التَّيْنُ

١. والتَّيْنُ والزَّيْتُون : (١) قال كعب وعكرمة : أقسم تعالى

بِمَنْتَ بَيْتِهِمَا ، فإن التين يثبت كثيراً بدمشق والزيتون بإيليا ، فأقسم
بالأرضيين (البحر المحيط ٤٨٩/٨) أراد بالتين دمشق ، وباليون بيت المقدس ،
فأقسم الله بجبل دمشق لأنه مأوى عيسى عليه السلام ، وبجبل بيت المقدس ،
لأنه مقام الأنبياء كلهم ، وبمكة لما خلق الله فيه من آدم ولأنه أشرف
إبراهيم عليه السلام ودار محمد صلى الله عليه وسلم (ابن العربي ١٩٥١/٣) (٢) روى
عن ابن عباس : التين : مسجد نوح عليه السلام الذي بُني على الجودي ، والزيتون :
مسجد بيت المقدس (القرطبي ١١٠/٢) (٣) قال ابن عباس أيضاً والحسن ومجاهد
وعكرمة وإبراهيم النخعي وعطاء بن أبي رباح وجابر بن زيد ومقاتل والكلبي :
هو تينكم الذي تأكلون ، وزيتونكم الذي تقصرون منه الزيت ، قال الله تعالى
في سورة المؤمن ٢٣/٣٠ : وشجرة تخرج من طور سيناء تنبت بالدهن وصبغ
للآكلين (القرطبي ١١٠/٢) أنه سبحانه أقسم بهذين النوعين من الثمار لما كان العزة
فيهما ، فإن التين فاكهة مخلص من شوائب التنغيس (أي : المضايقة) لا عجم
له (أي : نوى) وهو على مقدار اللقمة ، وهو فاكهة وقوت وغذاء وأدم ويدخل
في الأدوية ، ومزاجه من العدل الممزجة ، وطبعه طبع الحياة ، ويزيد في القوة
ويوافق الباءة وينفع من البواسير والنقرس ويؤكل رطباً وبأساً ، وأما الزيتون
ففيه من الآيات ما هو ظاهر لمن اعتبر ، فإن عوده يخرج ثمراً ، يعصر منه
هذا الدهن ، الذي هو مادة النور وصبغ للآكلين ، وطيب ودواء ، وفيه من مصالح
الخلق ما لا يحصى ، وشجره باقٍ على ممر السنين المتطاولة وورقه لا يسقط وهذا

الذي قالوه حق ، ولدينا في أن يكون منبته مراداً ، فإن منبت هاتين الشجرتين
حقيق بأن يكون من جملة البقاع الفاضلة الشريفة ، فيكون الإقسام قد تناول
الشجرتين ومنبتهما ، وهو مظهر عبد الله ورسوله وكلمته وروحه عيسى بن مريم ،
كما أن طور سينين مظهر عبده ورسوله وكيه موسى ، فإنه الجبل الذي كلمه عليه
وناجاه وأرسله إلى فرعون وقومه ، ثم أقسم بالبلد الأمين وهو مكة ، مظهر خاتم
أنبيائه ورسله سيد ولد آدم ، وترقى في هذا القسم من الفاضل إلى الأفضل ، وبدأ
بموضع مظهر المسيح ، ثم ثنى بموضع مظهر الحكيم ، ثم ختمه بموضع مظهر عبده و
رسوله ، وأكرم الخلق عليه (التبيان في أقسام القرآن / ٤٨ ، ٤٩)

٤ - لقد خلقنا الإنسان في أحسن تقويم : وذلك إشارة
إلى ما خص به الإنسان من بين الحيوان من العقل والفهم وانتصاب القامة الدالة
على استيلائه على كل ما في هذا العالم (المفردات / ٤١٨) أنه تعالى خلق كل ذي روح
ملكاً على وجهه ، إلا الإنسان ، فإنه تعالى خلقه مديد القامة يتناول ما كوله بيده ،
وقال الأصم : في أكمل مقل وفهم وأدب وعلم وبيان (التفسير الكبير ١٠/٣)

كان عيسى بن موسى الهاشمي يحب زوجته حباً شديداً ، فقال لها يوماً : أنت طالق
ثلاثاً ، إن لم تكوني أحسن من القمر ، فنهضت واحتجبت منه ، وقالت : طلقني ،
وبات بليدة عظيمة ، فلما أصبح عدا إلى دار المنصور فأخبره الخبر وأظهر المنصور
جزعاً عظيماً ، فاستحضر الفقهاء واستفتاهم ، فقال جميع من حضر : قد طلقت ، إلا
رجلاً واحداً من أصحاب أبي حنيفة فإنه كان ساكناً ، فقال له المنصور : مالك لا تتكلم ؟
فقال له الرجل : بسم الله الرحمن الرحيم ، واليتين والزيتون ، وطور سينين وهذا
البلد الأمين ، لقد خلقنا الإنسان في أحسن تقويم - يا أمير المؤمنين : فالإنسان
أحسن الأشياء ، ولا شيء أحسن منه ، فقال المنصور لعيسى بن موسى : الأمر كما قال
الرجل ، فأقبل على زوجك ، وأرسل أبو جعفر المنصور إلى زوجة الرجل : أن أطيعي

زوجك ولا تعصيه فما طلقك (ابن العربي ٤/ ١٩٥٢ ، القرطبي ٢/ ١١٤)

٥ - ثم رددناه أسفل سافلين : والمعنى : ثم جعلناه

من أهل النار ، الذين صدّق قبيح من كل قبيح وأسفل من كل أسفل خلقت
وتركيباً ، لعدم جريه على موجب ما خلقناه عليه من الصفات (روح المعاني ٢/٣٢)
ثم المتبادر من السياق إلى إشارة إلى حال الكافر يوم القيامة وأنه يكون على قبيح
صورة وأبشعها بعد أن كان على أحسن صورة وأبدعها لعدم شكره تلك النعمة
وعمله بموجبها (روح المعاني ٣ / ٢٠٣)

لما كان الناس في إجابة هذه الدعوة فريقين : منهم من أجاب ومنهم
من أبى ، ذكر حال الفريقين ، فذكر حال الأكثرين وهم المردودون إلى أسفل
سافلين ، والصحيح أنه النار ، قاله مجاهد والحسن وأبو العالية وعلى بن أبي
طالب رضي الله عنه ، وقال : هي النار ، بعضها أسفل من بعض ، وقالت طائفة : منهم
قتادة وعكرمة وعطاء والكلبي وإبراهيم : أنه أُرذل العمر ، وهو مروي عن ابن
عباس ، والصواب القول الأول لوجه : (١) إن أُرذل العمر لا يسمى أسفل سافلين ،
لا في لغة ولا في عرف ، وإنما أسفل سافلين هو سبعين الذي هو مكان الكفار
والنجار كما أن عليين مكان الأبرار (٢) أن المردودين إلى أسفل العمر بالنسبة
إلى نوع الإنسان قليل جداً ، فأكثرهم يموت ولا يرد إلى أُرذل العمر (٣) أن
الذين آمنوا وعملوا الصالحات يستوفونهم وغيرهم في رد من طال عمره منهم إلى أُرذل
العمر ، فليس ذلك مختصاً بالكفار حتى يستثنى منهم المؤمنين (٤) أن الله سبحانه لما
أراد ذلك لم يخصه بالكفار بل جعله لجنس بني آدم فقال : ومنكم من يتوفى ومنكم
من يرد إلى أُرذل العمر كيلا يعلم من بعد علم شيئاً (المحج ٥/٢٢) فجعلهم قسمين :
قسماً متوفى قبل الكبر وقسماً مردوداً إلى أُرذل العمر ، ولم يسمه أسفل سافلين .
(٥) أنه لا تقسم المقابلة بين أُرذل العمر وبين جزاء المؤمنين ، وهو سبحانه
قابل بين جزاء هؤلاء وجزاء أهل الإيمان ، فجعل جزاء الكفار أسفل سافلين ،
و جزاء المؤمنين أجراً غير ممنون (٦) إن قول من فسره بأُرذل العمر يستلزم

خلوا الآية عن جزاء الكفار وعاقبة أمرهم ، ويستلزم تفسيرها بأمر محسوس
 فيكون قد ترك الإخبار عن المقصود الأهم ، وأُخبر عن أمر يُعرف بالحسن و
 المشاهدة ، وفي ذلك مضمّن لمعنى الآية وتقصيرها عن المعنى اللائق بها -
 (٧) انه سبحانه ذكر حال الإنسان في مبدأه ومعاده ، فمبدأه خلقه في أحسن تقويم
 ومعاده رده إلى أسفل سافلين أو إلى أجز غير ممنون ، وهذا موافق لطريقة القرآن
 وعادته في ذكر مبدأ العبد ومعاده ، فما لأرذل العمر وهذا المعنى المطلوب
 المقصود إثباته والإستدلال عليه ؟ (٨) ان أرباب القول الأول مضطرون إلى
 مخالفة المحسن وإخراج الكلام عن ظاهره والتكلف البعيد له ، فإنهم إن قالوا :
 إن الذي يرد إلى أرذل العمرهم الكفار دون المؤمنين ، كابروا المحسن ، وإن
 قالوا : إن من النوعين من يرد إلى أرذل العمر ، احتاجوا إلى التكلف لصحة الاستثناء
 فمنهم من قدر ذلك بأن الذين آمنوا وعملوا الصالحات لا تبطل أعمالهم إذا ردوا
 إلى أرذل العمر ، بل تجرى عليهم أعمالهم السلي كما لو يعملونها في الصحة ، فهذا -
 وإن كان حقا - لكن الإستثناء إنما وقع من الرد لا من الأجر والعمل ، ولما علم
 أرباب هذا القول ما فيه من التكلف خصّ بعضهم الذين آمنوا وعملوا الصالحات
 بقراءة القرآن خاصة فقالوا : من قرأ القرآن لا يرد إلى أرذل العمر ، وهذا ضعيف من
 وجهين : أحدهما : أن الإستثناء عام في المؤمنين ، قارئهم وأُمّيتهم ، وأنه لا دليل
 على ما رآهوه ، وهذا لا يعلم بالحسن ، ولا خبر يجب التسليم له يقتضيه ، والله أعلم
 (٩) انه سبحانه ذكر نعمته على الإنسان بخلقته في أحسن تقويم ، وهذه النعمة توجب
 عليه أن يشكرها بالإيمان وعبادته وحده لا شريك له ، فيقتله حينئذ من هذه
 الدار إلى أعلى عليين ، فإذا لم يؤمن به ، وأشرك به ، وعصى رسله ، نقله
 منها إلى أسفل سافلين ، وبذلك بعد هذه الصورة السلي في أحسن تقويم صورة
 من أقبح الصور في أسفل سافلين ، فتلك نعمته عليه وهذا عدله فيه وعقوبته
 على كفران نعمته (١٠) ان نظير هذه الآية قوله تعالى : فبشرهم بعذاب أليم

إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ (الأنشقاق ٨٤/٢٢، ٢٥)
 فالعذاب الأليم هو أسفل سافلين ، والمستثنون هنا هم المستثنون هناك ،
 والأجر غير الممنون هناك هو المذكور هنا ، والله أعلم (التبيان في أقسام القرآن / ٣٤٠)

٧- فلهم أجر غير ممنون : أى : غير مقطوع ولا منقوص و

لا مكدر عليهم ، وهذا هو الصواب ، وقالت طائفة : غير ممنون به عليهم بل هو
 جزاء أعمالهم ، ويذكر هذا عن عكرمة ومقاتل ، وهو قول كثير من القدرية ،
 قال هؤلاء : إن المننة تشكر النعمة ، فتقام النعمة أن يكون غير ممنون بها
 على المنعم عليه ، وهذا القول خطأ قطعاً ، أتى أربابه من تشبيه نعمة الله على
 عبده بالإنعام المخلوق على المخلوق ، وهذا من أبلط البطل ، فإن المننة استلقت
 تشكر النعمة هيمنة المخلوق على المخلوق ، وأما منة الخالق على المخلوق فبها تمام
 النعمة ولذتها وطيبها ، فأنها منة حقيقة ، قال تعالى : لقد من الله على المؤمنين
 إذ بعث فيهم رسولا من أنفسهم (آل عمران ١٤٤/٣) وقال لموسى : ولقد مننا
 عليك مرة أخرى (طه ٢٠ / ٣٤) وقال : ونريد أن نمن على الذين استضعفوا

في الأرض (القصص ٥/٢٨) وقال : ولقد مننا على موسى وهارون ونجيينا هما
 وقومهما من الكرب العظيم (الصافات ١١٣/٣٤ ، ١١٥) وقال : يمتون عليك
 أن أسلموا قتل لآتمتوا على إسلامكم بل الله يمن عليكم أن هداكم للإيمان
 (الحجرات ١٤/٤٩) وقال أهل الجنة : فمن الله علينا ووقانا عذاب السموم -
 (الطور ٥٢/٢٤) (التبيان في أقسام القرآن / ٧٣، ٧٤)

العَلَق

سورة العلق اول ما نزل من القرآن الحكيم ، ففي صحيح البخارى (١/٢٧٣)

في حديث بدء الوحي ما يقتضى أن أول ما نزل عليه صلى الله عليه وسلم :
اقرأ باسم ربك ، ثم المدهش ، ولفظ مسلم (١/٨٨) اول ما نزل من القرآن :
اقرأ باسم ربك ، الى قوله : علم الانسان ما لم يعلم ، ووقع في صحيح البخارى
الى قوله : وربك الأكرم ، وهو مختصر ، وفي الأول زيادة ، وهى من الثقة مقبولة
(البرهان فى علوم القرآن للزركشى ١/٢٠٦)

وقد جاء ما يعارض هذا ، ففي صحيح مسلم (١/٩٠) بسنده عن يحيى بن جابر
رضى الله عنه : أول ما نزل من القرآن سورة المدهش ، فجمع بعضهم بينهما
بأن جابرًا رضى الله عنه سمع النبى صلى الله عليه وسلم يذكرك قصيدة يدور الوحي
فسمع آخرها ولم يسمع أولها ، فتوهم أنها أول ما نزلت ، وليس كذلك ،
نعم هى اول ما نزل بعد سورة اقرأ وفترة الوحي ، لما ثبت في صحيح البخارى
(٢/٧٤٠) وصحيح مسلم (١/٩٠) عن أبي سلمة بن عبد الرحمن عن جابر رضى
الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يحدث عن فترة
الوحي ، قال فى حديثه : بينما أنا أمشى سمعت صوتاً من السماء فرجعت
رأسى ، فاذا الملك الذى جاء فى بحراء جالس على الكرسي بين السماء والأرض
ففرقت منه فرجعت فقلت : زملوني زملوني ، فأُنزل الله تعالى : يا ايها
المدثر قم فأُتد (البرهان فى علوم القرآن ١/٢٠٦ ، ٢٠٤) أسباب النزول
لواحدى/٨٤

وقيل : اول ما نزل سورة الفاتحة ، روى ذلك البيهقى بسنده قال :

كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا سمع صوتاً انطلق هارباً، وذكر
قوله ونزول الملك عليه : بسم الله الرحمن الرحيم ، الحمد لله رب العالمين ،
إلى آخرها (دلائل النبوة ١٥٨ / ٢)

ولذا قال الرازي : أن أول ما نزل من القرآن : الحمد لله رب العالمين
(التفسير الكبير ١/ ١٤٤) وقال آخرون : الفاتحة أول ما نزل ثم سورة القلم
(التفسير الكبير ٣٢ / ١٣ ، الكشاف ٧٧٥ / ٤)

قال الحافظ ابن كثير : هذا لفظ البيهقي ، وهو مرسل وفيه غرابة ، و
هو كون الفاتحة أول ما نزل (البدئية والنهاية ١٠ / ٣) وقال القاضى أبو بكر
في الإختصار : وهذا الخبر منقطع ، وأثبت الأثناويل : اقرأ باسم ربك ،
و أول ما نزل من أوامر التبليغ : يا أيها المدثر ، وأول ما نزل من السور :
سورة الفاتحة ، وهذا كما ورد في الحديث : إن أول ما يحاسب به العبد يوم
القيامة من عمله صلاته (رواه الترمذى في جامعه ١ / ٩٣) وإن أول ما يحكم
بين العباد في الدماء (الجامع للترمذى ١ / ٢٥٩) وجمع بينهما بأن أول ما يحكم
فيه من المظالم الملقى بين العباد : الدماء ، وأول ما يحاسب به العبد من
الضرائق البدنية : الصلوة . (البرهان ١ / ٢٠٤ - ٢٠٨)

٣ - اقرأ : كثر الأمر ، لأن القراءة لا تكسبها النفس إلا بالتكرار
والتعود ، على ما جرت به العادة ، وتكرار الأمر الإلهى يقوم مقام تكرار المقروء ،
وبذلك تصير القراءة ملكة لى صلى الله عليه وسلم ، تدبر قوله تعالى في سورة
الأعلى ٤ / ٨٤ : سنقرئك فلا تنسى (المراعى ٣ / ١٩٩)

ح - علم بالقلم : الأقلام فى الأصل ثلاثة : (١) القلم الاول كما
ثبت فى الحديث : أول ما خلق الله القلم ، فقال له : اكتب ، فكتب ما كان وما يكون
إلى يوم الساعة ، فهو عنده فى الذكر فوق عرشه (٢) القلم الثانى ، ما جعل الله
بأيدي الملئكة يكتبون به المقادير والكوائن والأعمال ، وذلك قوله تعالى : كراما كاتبين

يعلمون ما تفعلون (الأنعام ٨٢ / ١٢٠) خلق الله لهم الأقداس وعلمهم الكتاب بها .
 (٣) القلم الثالث : أقلام الناس ، جعلها الله تعالى بأيديهم يكتبون بها كلامهم ،
 ويصلون إلى ما ربهم ، والله أخرج الخلق من بطون أمهاتهم لا يعلمون شيئاً ، وخلق
 لهم السمع والبصر والنفق ، ثم رزقهم معرفة العبد باللسان على ثمانية وعشرين وجهاً ،
 وقيل : حرفاً يضرب بها اللسان بين الحنك والألسان ، فيقطع الصوت قطعاً يثبت عنه
 مقطعاته على نظام متسقة قرئت به معارف في أفرادها وفي تأليفها ، وألقي إلى العبد معرفة
 أدائها ، فذلك قوله في سورة النساء ١١٣ : وعلمك ما لم تكن تعلم (ابن العربي ٤ / ١٩٥٦)

١٥ - لنسفاً بالناصية : لنسفاً أي : لناخذن بالناصية فلنذله ،
 وقيل : لناخذن بناصيته يوم القيامة ونطوى مع قدميه وي طرح في النار كما قال
 تعالى : فيؤخذ بالنواصي والأقدام (الرحمن ٥٥ / ٤١) فالآية — وإن كانت في ألى
 جهل — فهي عظة للناس ، وتهديد لمن يمتنع أو يمنع غيره عن الطاعة ،
 وأهل النفقة يقولون : سَفَعَتْ بالشيء : إذا قبضت عليه وجذبته جذبا شديداً ،
 والناصية : شعرة مقدم الرأس ، وقد يعبر بها عن جملة الإنسان ، كما يقال : هذه
 ناصية مباركة ، إشارة إلى جميع الإنسان ، وخص الناصية بالذكر على عادة العرب
 فيمن أرادوا إزالته وإهانته أخذوا بناصيته ، وقال المبرد : السفع : الجذب
 بشدة أي : لتَجَرَّنَ بناصيته إلى النار ، وقيل : السفع : الضرب أي : لنطمن
 وجهه ، وكله متقارب المعنى (القرطبي ٢٠ / ١٢٥)

١٧ - فليدع نادية : أي : فليجمع أمثاله ممن ينتسب معهم ليمنع
 الصليين المخلصين ، ويؤدى أهل الحق الصادقين ، فانه إن فعل ذلك تعرض لسطح
 ربه والتنكيل به وسد عوله من جنودنا كل قوى متين لا يقبل بمغالبة فيهلكه
 في الدنيا ، أو يرديه في النار في الآخرة ، والمراد بهم الملائكة ، الذين أقامهم الله على
 تعذيب العصاة من خلقه ، وسماوا ببلنية ، لأنهم يربطون الكفار في السارأي
 بدفعونهم ويسوقونهم إليها (المراغي ٣٠ / ٢٠٤ ، ٢٠٥)

الْقَدْر

١- ليلة القدر : قيل : ليلة الشرف والفضل ، وقيل : ليلة

التدبير والتقدير ، وهو أقرب لقوله : فيها يُفريق كل أمر حكيم (الأنعام ٩١/٢٧) ويدخل فيه الشرف والرفعة ، ومعنى التقدير والتدبير فيها أن الله قد وُيِّرَ المحادثات والكوائن قبل خلقها بغير مدّة ، وقدر المقادير قبل خلق السماوات والأرض من غير تحديد ، وعلم الأشياء قبل حدوثها بغير أمل ، ومن جهالة المضنّين أنهم قالوا : إنّ السّفرة أُلْقَتْه إلى جبريل في عشرين ليلة وألقاه جبريل إلى محمد صلى الله عليه وسلم في عشرين سنة ، وهذا باطل ليس بين جبريل وبين الله واسطة ، ولا بين جبريل ومحمد صلى الله عليه عليهما واسطة ، قال علماؤنا : فيُحدِّث الله عز وجل في رمضان في ليلة القدر كلّ شيء يكون في السّنة من الأرزاق والمصائب ، وما يقسم من السعادة والشقاوة ، والحياة والموت ، والمطر والرزق ، حتى يكتب فلان يحجّ في العام ، ويكتب ذلك في أم الكتاب (ابن العربي ١/ ١٩٩١ ، ١٩٩٢)

٢- من كل أمر : أمر بكل أمر قدره الله وقضاه في تلك

السّنة إلى قابل قاله ابن عباس ، كقوله تعالى : يحفظونه من أمر الله (النحل

١٣/٢) أي : بأمر الله (القرطبي ٢٠/ ١٣٣)

البينة

١. منفيين : (١) قال مجاهد وغيره : لم يكونوا منفيين عن الكفر

والضلال حتى جاءتهم البينة - (٢) قال الفراء وغيره : لم يكونوا منفيين عن معرفة صحة نبوة محمد صلى الله عليه وسلم والتوكف لأمره حتى جاءتهم

البينة ففترقوا عند ذلك - (٣) قال ابن عطية : ويتبعه في معنى الآية قول

ثالث بارع المعنى ، وذلك أنه يكون المراد : لم يكن هؤلاء القوم منفيين

من أمر الله تعالى وقدرته ونظيره لهم حتى يبعث الله تعالى إليهم رسولا

منذرا ، تقوم عليهم به الحجة ، ويتم على من آمن النعمة ، فكانه

قال : ما كانوا ليتروا سدى ، ولهذا نظائر في كتاب الله تعالى (٤) قيل :

لم يكونوا منفيين عن حيااتهم فيموتوا حتى تأتيهم البينة ، والظاهر أن

المعنى لم يكونوا منفيين أى : منفصلا بعضهم من بعض ، بل كان كل منهم

مقرا بالآخر ، على ما هو عليه مما اختاره لنفسه ، هذا من اعتقاده في شريعته ،

وهذا من اعتقاده في أصنامه ، والمعنى : أنه اتصلت مودتهم واجتمعت

كلمتهم إلى أن اتتهم البينة - (٥) وقيل معنى منفيين : هالكيين ، من قولهم ،

انفك صلا المرأة عند الولادة ، وأن ينفصل فلا يلتصق ، والمعنى : لم يكونوا

معذبين ولا هالكيين إلا بعد قيام الحجة عليهم بإرسال الرسل وانزال الكتب

(البحر المحيط ٤٩٨/٨) - (٦) قال ابن كيسان : أى : لم يكن أهل الكتاب

تاركيين صفة محمد صلى الله عليه وسلم في كتابهم حتى بعث ، فلما بعث صمدوه

ومجددوه ، وهو كقوله : فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به (البقرة ٨٩/٢)

ولهذا قال : وما تفرق الذين أوتوا الكتاب ... الآية ، وعلى هذا فقوله :

والمشركين أئى : ما كانوا يسيئون القول في محمد صلى الله عليه وسلم حتى
بُعِثَ ، فالنهم كانوا يسمونه : الأئمين ، حتى أُنْتَهَم البيئنة على لسانه
وَبُعِثَ اليهم فحينئذ عادوه (القرطبي ١٤١/٢)

١- **حتى تأتتهم البيئنة** : قيل : حتى أُنْتَهَم ، والبيئنة

: محمد صلى الله عليه وسلم (القرطبي ١٤٢/٢)

٣- **فيها كتب قيامة** : أئى : مستقيمة مستوية محكمة ،

من قول العرب : قام يقوم : إذا استوى وصح ، وقال بعض أهل العلم :
الصحف هي الكتب ، فكيف قال في صحف : فيها كتب ؟ فالجواب : أن الكتاب هنا
بمعنى : الأحكام ، قال الله تعالى : كتب الله لأغلبن (المجادلة ٥٨/٢١) بمعنى
حكم ، وقال صلى الله عليه وسلم : والله لأقضين بينكما بكتاب الله ، شر
قضى بالرجم ، وليس ذكر الرجم مسطوراً في الكتاب ، فاللعن : لأقضين بينكما
بحكم الله تعالى (القرطبي ١٤٣/٢)

٥- **وذلك دين القيمة (١)** : أئى : ذلك الدين الذى

أُمرُوا به دين القيمة أئى : الدين المستقيم - (٢) وقال الزجاج : أئى :
ذلك دين الملة المستقيمة ، والقيمة نعت لموصوف محذوف ، أو يقال :
دين الأئمة القيمة بالحق (القرطبي ١٤٤/٢)

٧- **ولئك هم خير البرية** : روى أبو نعيم بإسناده إلى ابن

عباس قال : لما نزلت هذه الآية قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعلى
رضى الله عنه : هم أئنت وشيعتك ، يأتون يوم القيامة راضين ، ويأتون
خصماً ذك غصاًباً مفحمين ، وإذا كان خير البرية وجب أن يكون الامام -

والجواب : الطالبة بصحته وإن كنا جازمين بوضعه ، ثم هو معارض

بمن قال : إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات هم الخوارج والنواصب ، و
يقولون : من ثوى علينا رضى الله عنه فهو كافر ، ويحتجون على ذلك بقوله :

ومن لم يحكم بما أنزل الله ، فيكون كافراً ، وقال : ومن يتولّهم
منكم فإنه منهم (المائدة ٥١/٥) ، وقال : هو وعثمان وشيعتهما مرتدّون
بقول النبي صلى الله عليه وسلم : يُبْذَرُ رِجَالُ عَنِ حَوْضِي كَمَا تَذَادُ
إِلَى بَلِّ الْغَرِيْبَةِ ، فَأَقُول : رَبُّ أَصْحَابِي أَصْحَابِي فَيُقَال : إِنَّكَ لَا تَدْرِي مَا
أُحْدِثُوا بَعْدَكَ ، وَبِقَوْلِهِ : لَا تَرْجِعُوا بَعْدِي كَفَارًا يَضْرِبُ بَعْضُكُمْ رِقَابَ بَعْضٍ
فَهَذَا وَإِنْ كَانَ بَاطِلًا ، فَجَجِجِ الرَّاغِبَةَ أَبْطَلَ مِنْهُ ، وَقَدْ صَنَفَ الْجَاهِظُ كِتَابًا
لِلْمُروَانِيَّةِ وَذَكَرَ حُجَجًا لَهُمْ لَا يُمْكِنُ الرَّاغِبَةُ لِقَضَائِهَا ، بَلْ يَحْتَاجُ إِلَى أَهْلِ السُّنَّةِ
حَقٌّ يَنْقُضُوهَا .
(المنتقى من منهاج الاعتدال / ٨٠ ع)

الزَّلْزَالُ

٢- وَأُخْرِجَتِ الْأَرْضُ أَثْقَالَهَا : قال أبو عبيدة والأخفش :

إذا كان الميت في بطن الأرض فهو ثقل لها ، وإذا كان فوقها فهو ثقل عليها وقال ابن عباس ومجاهد : أَثْقَالَهَا : موتها ، تخرجهم في النفقة الثانية ، ومنه قيل لجن والإِنس : الثَّقَلَانِ ؛ وقيل أَثْقَالَهَا : كنوزها (القرطبي ٢/٢٤٧) ،

٣- وَقَالَ الْإِنْسَانُ مَا لَهَا ؟ وذلك عند النفقة الثانية

حين تزلزل وتلفظ موتها أحياء ، فيقولون ذلك لما يبهركم من الأمر الفظيع كما يقولون : من بعثنا من مرقدنا (يس ٥٢/٣٤) وقيل هذا قول الكافر ، لأنه كان لا يؤمن بالبعث فأما المؤمن فيقول (يس ٥٢/٣٤) : هذا ما وعد الرحمن وصدق المرسلون (التيسني ٥/٣٨٨) قال الجمهور :

الإنسان هو الكافر ، يرى ما لا يظن (البحر المحيط ٨/٥٠٠)

٤- يَصْدُرُ النَّاسُ أَشْتَاتًا : أي : فِرْقًا ، جمع شَتٍّ ،

قيل : عن موقف الحساب ، فريق يأخذ جهة اليمين إلى الجنة ، وفريق آخر يأخذ جهة الشمال إلى النار ، كما قال تعالى : يومئذ ينفرقون (الروم ٣/١٤) يومئذ يصَّدَّعون (الروم ٣/٤٣) وقيل : يرجعون عن الحساب بعد فراغهم من الحساب أَشْتَاتًا يعني : فِرْقًا فِرْقًا ليروا أعمالهم يعني ثواب أعمالهم (القرطبي ٢/١٤٩)

ويحتمل أن يكون أَشْتَاتًا أي : كل واحد وحده لا ناصر له ولا عايد

كقوله تعالى في سورة الأنعام ٩٤/٩ : وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَى (البحر المحيط ٨/٥٠١)

الْعُرِيَّتُ

١- والعاديات : قد اختلف الصحابة ومن بعدهم في ذلك

(١) قال علي بن أبي طالب وعبد الله بن مسعود رضي الله عنهما : هي إبل الحاج تقدم من عرفة إلى مزدلفة ، ومن مزدلفة إلى منى ، وهذا اختيار محمد بن كعب وأبي صالح وجماعة من المفسرين (٢) قال عبد الله بن عباس : هي خيل الغزاة ، وهذا قول أصحاب ابن عباس والحسن وجماعة واختاره الفراء والزجاج .

قال أصحاب الإبل : السورة مكية ، ولم يكن شرم جهاد ولا خيل تجاهد ، وإنما أقسم بما يعرفونه ويألفونه ، وهي إبل الحاج إذا عدت من عرفة إلى مزدلفة ، فهي عاديات ، والضبح والضبع : مَدَّ الناقة ضبعها في السير ، يقال : ضبحت وضبعت بمعنى واحد ، وأنشد أبو عبيدة وقد اختار هذا القول

فكان لكم أهرى جميعاً وأضبحت

في المنازل الوجناء في الآل تضبح

البازل الوجناء : الناقة الشديدة القوية .

قال أصحاب الخيل : المعروف في اللغة أن الضبح أصوات أنفاس الخيل إذا عدت ، والمعنى : والعاديات ضابحة ، فيكون ضبحاً مصدرّاً على الأول ، وحالاً على الثاني ، قالوا : والخيل هي التي تضبح في عدوها ضبحاً ، وهو صوت يسمع من أجوافها ، ليس بالصهيل ولا الحمحة (هما من أصوات الخيل) ولكن صوت أنفسها في أجوافها من شدة العدو ، وقال المجراني : كلا القولين قد جاء في التفسير إلا أن السبأ يقول على أنها الخيل ، وهو قوله تعالى : فالموبيات قدحا والإيراء لا يكون إلا للحافر ، لصلايته ، وأما الخف ففيه لين واسترخاء ،

قالوا : والصحيح في الخيل أظهر منه في الإبل ، والإبراء لسنايب الخيل
أبين منه لأخفاف الإبل ، والصغير في (به) عائد على المكان الذي تعدو
فيه ، قالوا : وأعظم ما يثير الغبار عند الإفاة إذا توسلت الخيل جمع
العدو ، لكثرة حركتها واضطرابها في ذلك المكان . وأما حمل الآية في
إثارة الغبار في وادي محسر عند الإفاة فليس بالبين ، ولا يثور هناك غبار
في الغالب لصلاية المكان ، قالوا : وأما قولكم : انه لم يكن بمكة حين نزول
الآية جهاد ولا خيل تجاهد ، فهذا لا يلزم لأنه سبحانه أقسم بما يعرفونه
من شأن الخيل إذا كانت في غزو فأثارت فأشارت النقع ، وتوسطت جمع
العدو ، وهذا أمر معروف ، وذكر خيل المجاهدين أحق ما دخل في هذا الوصف
فذكره على وجه التمثيل لا الاختصاص . والتبيان في أقسام القرآن / ١٠٤-١٠٦
قال الرافضي : وفي غزوة السلسلة جاء أعرابي فأخبر النبي صلى الله عليه وسلم
أن جماعة قصدوا أن يكسبوا عليه المدينة ، فقال : من لؤادي ؟ فقال أبو بكر :
أنا ، فدفع إليه السوء وضم إليه سبعة ، فلما وصل إليهم قالوا : ارجع إلى
صاحبك فانا في جمع كثير ، فرجع ، فقال عليه الصلاة والسلام : من لؤادي ؟
فقال عمر : أنا ، فبعثه ففعل كالأول ، فقال في اليوم الثالث : أين علي ؟
فدفع إليه الرأية فمضى فلقبهم فقتل منهم ستة أو سبعة وانهزم الباقون ،
وأقسم الله على فعل أمير المؤمنين فقال : والعاديات ضحاً . قلنا : هذا
من الباطل ، فلا وجود لهذه الغزوة أصلاً ، بل هي من جنس غزوات الطرقية ،
الذين يحكون الأكاذيب الكثيرة ، كثيرة عنزة والباطل ، وقد اعتنى بأيام
الرسول صلى الله عليه وسلم عروة والزهرى وابن اسحاق وموسى بن عقبة وأبو
معشر السندي والليث بن سعد وأبو اسحاق الفزاري والوليد بن مسلم والواقدي
ويونس بن بكير وابن عائد وأمثالهم ، وما أبقوا دقاً ولا جلاً ولا غشاً ولا سميناً ،
وما ذكروا هذه الغزوة ، ولا نزلت فيها والعاديات ، بل نزلت بالإجماع بمكة ،

بل المشهور عن علي في التفسير أنه قال : العاديات رُبل الحجاج وعُدوها
من مزدلفة إلى منى ، وكان ابن عباس والأكثرون يفسرونها بالخنيل التي
تقزق في سبيل الله . (المنتقى من منهاج الاعتدال / ٥٤٤ ، ٥٤٥)

٦- كنود : هذا جواب القسم أي : طبع الإنسان على كفران
النعمة ، قال ابن عباس : كنود : لكفور جحود لنعم الله ، وكذلك قال الحسن ،
وقال : يذكر المصائب ويبنى النعم ، أخذه الشاعر فنظمه :
يأيها الظالم في فعله والظلم مردود على من ظلم
إلى متى أنت وحتى متى تشكوا المصائب ونسى النعم

وروى أبو مامة الباهلي قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : الكنود
هو الذي يأكل وحده ، ويمنع رفقده (أي : العطاء والصلة) ويضرب عبده .
(القرطبي ج ١ / ١٤٠)

القَارَعَةُ

١- القَارَعَةُ : من أسماء القيامة كالحاقة والصّاحّة والطّامة والغاشية

وسميت بذلك لأنها تفرع القلوب بهولها كما تسمى الحادثة العظيمة من حوادث الدهر قارعة ، قال تعالى : ولا يزال الذين كفروا تصيبهم بما صنعوا قارعة (الرعد ٣١/١٣) .

أي : حادثة عظيمة تفرعهم وتضك أجسادهم فيألمون بها (المراعي ٢٢٥/٣٠)

٢- يوم يكون الناس : (يوم) منصوب على الظرف ، تقديره : تكون القارعة

يوم يكون الناس كالغراش المبعوث ، قال قتادة : الغراش : الطير الذي يتساقط في النار والسراج ، الواحدة فراشة ، والمبعوث : المتفرق ، وقال في موضع آخر : كأنهم جراد منتشر (المقرئ ٤/٥) فأول حالهم كالغراش لادّجاء له ، يتخيّر في كل وجه ، ثم يكونون كالجراد ، لأن لها وجه تقصده - والمبعوث : المتفرق المنتشر (القرطبي ١٤٥/٢)

٥- كالعن المنفوش : أي : الصوف الذي ينفش باليد ، أي : تصير

هباءً وتزول ، كما قال جل ثناؤه في موضع آخر : هباء منبث (الواقعة ٤/٥٦) و أهل اللغة يقولون : العن : الصوف المصبوغ (القرطبي ١٤٥/٢)

٩- فأُمّه هاوية : يعن جهنم وسماها أمّا لأنه يأوى إليها كما

يأوى إلى أمه ، قاله ابن زيد ، ومنه قول أميّة بن أبي الصلت :

فالأرض مَقِيلُنَا وكانت أُمَّنَا فيها مقابرنا وفيها نولد

وسميت النار هاوية ، لأنه يهوى فيها مع بُعد قعرها (القرطبي ١٤٤/٢)

التَّكَاثُرُ

١- الهاكم التكاثر : أى : شغلكم التفاخر والتباهى بكثرة

الأنصار والأشياء ، وصرفكم ذاك عن المجد في العمل ، فكنتم في لهو بالقول عن الفعل ، وفي غرور وإعجاب بالآباء والأعوان ، وصرفكم ذاك عن توجيه قواكم الى العمل بما فرض عليكم من الأعمال لأنفسكم وأهلكم ، وما زال ذاك ديدنكم ودأبكم الذى سرتم عليه . وفي صحيح مسلم عن مُطَرِّف عن أبيه قال : أُتيت النبی صلی اللہ علیہ وسلم وهو یقرأ : الهاکم التکاثر ، قال : یقول ابن آدم : مالی ، مالی ، وهل لك يا بن آدم من مالک الا ما أكلت فأفنیته ، أو لبست فأبلیت ، أو تصدقت فأمضیت ، وفي رواية أبي هريرة : وما سوى ذاك فذاهبٌ وتارکهُ للناس (المراعى ٢٢٩/٣٠)

٢- حتى زرتم المقابر : (١) أى : حتى أتاكم الموت ، فصرتم في المقابر

زوّاراً ، ترجعون منها كرجوع الزائر الى منزله من جنة أو نار ، يقال لمن مات : قد زار قبره - (٢) ألهاكم التكاثر حتى عودتم الأموات . (٣) هذا وعيد أى : اشتغلتم بمفاخرة الدنيا ، حتى تزوروا القبور (القرطبي ١٢٠ / ١٩٩)

لما يأتي في التنزيل ذكر المقابر لآل في هذه السورة ، وزيارتها من أعظم الدواعى للقلب القاسى ، لأنها تذكر الموت والآخرة ، وذلك يحمل على قصر الأمل والزهد في الدنيا وترك الرغبة فيها ، قال النبی صلی اللہ علیہ وسلم : كنت نهيتمكم عن زيارة القبور ، فزوروها ، فانها تزهد في الدنيا وتذكر الآخرة ، رواه ابن مسعود ، أخرجه ابن ماجه ، وفي صحيح مسلم من حديث أبي هريرة : فانها تذكر الموت ، وفي الترمذی عن بُرَيْدَة : فانها تذكر الآخرة ، قال : هذا حديث

حسن صحيح (القرطبي ٢/ ١٤٠)

لا كلام في ذم زيارة القبور للتفاخر بالمزور أو للتباهي بالزيارة، كما يفعل كثير من الجهلة المنتسبين إلى المتصوفة في زيارتهم لقبور المشايخ عليهم الرحمة، هذا مع ما لهم فيها من منكرات اعتقدوها طاعات، وشأنهم اتخاذها شرائع في أمور تضيق عنها صدور السطور (روح المعاني ٢٥٩/٣٠)

فزوروها أمر رابحة لا تقاظ بها، لا لعن الجاهة والتفاخر، قال ابن عطية: كما يصنع الناس في ملازمتها وتسيبها بالحجارة والرخام، وتلوينها شرفاً، وبيان النواديس عليها. وابن عسلة لم ير إلا قبور أهل الأندلس، فكيف لو رأى ما تباهى به أهل مصر في مدافنهم بالقرافة الكبرى والقرافة الصغرى وباب النصر وغير ذلك، وما يضيع فيها من الأموال، تستجب من ذلك، ولو رأى ما لم يحظر بهال، وأما التباهي بالزيارة ففي هؤلاء المنتسبين إلى الصوف أقوام ليس لهم شغل إلا زيارة القبور: زرت قبر سيدي فلان بكذا، وقبر فلان بكذا، والشيخ فلان بكذا، فيذكرون أقاليم طافوها على قدم التجريد، وقد حفظوا حكايات عن أصحاب تلك القبور وأدلك المشايخ بحيث لو كتبت لجاءت أسفاراً، وهم مع ذلك لا يعرفون فروض الوضوء ولا سننه، وقد سخر لهم الملوك وعوام الناس في تحسين النطن بهم، ويذل أموالهم لهم، وأما من شذا منهم لأن يتكلم للعامة فيأق بعجائب يقولون: هذا فتح، هذا من العلم اللدني علم الحضرة، حتى أن من ينتمى إلى العلم لما رأى رواج هذه الطائفة سلك مسلكهم ونقل كثيراً من حكاياتهم، وزجج ذلك ببسير من العلم طلباً للمال والجاه وتقبيل اليد، ونحن نسأل الله عز وجل أن يوفقنا لطاعته.

(البحر المحيط ٨/ ٥٠٤، ٥٠٨)

٨. النعيم: اختلف أهل التأويل في النعيم المسؤول عنه على

أقوال: (١) الأمن والصحة، قاله ابن مسعود (٢) الصحة والفراغ، قاله

سعيد بن جبير ، وفي البخاري عنه صلى الله عليه وسلم : نعمتان مغبون فيهما
 كثير من الناس : الصحة والفراغ - (٣) الإدراك بحواس السمع والبصر ، قاله
 ابن عباس ، وفي التنزيل : ان السمع والبصر والفؤاد كل اولئك كان عنه
 مسئولا (الاسراء ٣٤/١٤) وفي الصحيح عن أبي هريرة وأبي سعيد قالا : قال
 رسول الله صلى الله عليه وسلم : يؤتى بالعبد يوم القيامة فيقول له : ألم
 أجعل لك سمعا وبصرًا ومالًا وولدًا الحديث ، خرجه الترمذي وقال
 فيه : حديث حسن صحيح (٤) ملاذ المأكل والمشروب ، قاله جابر بن عبد الله
 الأنصاري (٥) أنه الغداء والعشاء ، قاله الحسن (٦) أنه شبع البطون
 وبإمداد الثواب وقليل المساكين واعتدال الخلق ولذة النوم ، قاله مكحول الشامي
 (٧) أنه صحة البدن ، وطيب النفس ، قاله مالك (المقرطبي ٢٠/١٤٩ ، ١٤٤)

في قوله صلى الله عليه وسلم : يؤتى بالعبد يوم القيامة فيقول له : ألم أجعل لك سمعا وبصرًا ومالًا وولدًا الحديث ، خرجه الترمذي وقال فيه : حديث حسن صحيح (٤) ملاذ المأكل والمشروب ، قاله جابر بن عبد الله الأنصاري (٥) أنه الغداء والعشاء ، قاله الحسن (٦) أنه شبع البطون وبإمداد الثواب وقليل المساكين واعتدال الخلق ولذة النوم ، قاله مكحول الشامي (٧) أنه صحة البدن ، وطيب النفس ، قاله مالك (المقرطبي ٢٠/١٤٩ ، ١٤٤)

في قوله صلى الله عليه وسلم : يؤتى بالعبد يوم القيامة فيقول له : ألم أجعل لك سمعا وبصرًا ومالًا وولدًا الحديث ، خرجه الترمذي وقال فيه : حديث حسن صحيح (٤) ملاذ المأكل والمشروب ، قاله جابر بن عبد الله الأنصاري (٥) أنه الغداء والعشاء ، قاله الحسن (٦) أنه شبع البطون وبإمداد الثواب وقليل المساكين واعتدال الخلق ولذة النوم ، قاله مكحول الشامي (٧) أنه صحة البدن ، وطيب النفس ، قاله مالك (المقرطبي ٢٠/١٤٩ ، ١٤٤)

العصر

هي على قصورها جمعت من العلوم ما جمعت ، فقد روى عن الشافعي عليه
الرحمة أنه قال : لو لم ينزل غير هذه السورة لكفت الناس ، لأنها شملت
جميع علوم القرآن (روح المعاني ٣ / ٢٦٣)

١- والعصر : المقسم به ، قيل : هو أول الوقت الذي يلي المغرب
من النهار ، وقيل : هو آخر من آخر ساعاته ، وقيل المراد : صلاة العصر ،
وأكثر المفسرين على أنه الدهر ، وهذا هو الراجح ، وتسمية الدهر عصرًا
أمر معروف في لغتهم ، قال :

ولن يلبثُ العَصْرانِ : يومٌ وليلةٌ

إذا طلبنا أن يُدركا ما تيمَّما

ويوم وليلة بدل من العصران . (التبيان في أقسام القرآن / ١١٤)

المُزَّة

١- همزة لمزة (١) قال ابن عباس : هم المشاءون بالنميمة ، المفسدون بين الأُحبة ، الباغون للبراء العيب ، فعلى هذا هما بمعنى -
(٢) وعن ابن عباس أيضاً : أن الهمزة : القنات واللمزة : العياب -
(٣) وقال أبو العالية والحسن ومجاهد وعطاء بن أبي رباح : الهمزة : الذي يغتاب ويظعن في وجه الرجل ، واللمزة : الذي يغتاب من خلفه إذا غاب ، واختار هذا القول الخامس ، قال : ومنه قوله تعالى في سورة التوبة غاب ، ومنهم من يلمزك في الصدقات القرطبي ٢٠ / ١٨١ ، ١٨٢

الفيل

١- المتر: أي: ألم تُخبر، وقيل: ألم تعلم. وقال ابن عباس: ألم تسع؟ واللفظ استفهام، والمعنى تقرير، والخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم ولكنه عام أي: ألم تروا ما فعلت بأصحاب الفيل أي: قد رأيتم ذلك وعرفتم موضع منق عليكم فما لكم لا تؤمنون؟ (القرطبي ١٨٤/٢) وإنما مبرر عن العلم بالرؤية، للإيماء إلى أن الخبر بهذا القصص متواتر مستفيض، فالعلم به مساوٍ في قوة الشبوت مع الواضوح — للعلم الناشئ عن الرؤية والمشاهدة (المرآة ٣٠/٢٤٣)

٣- طيرا أبابيل: قال سعيد بن جبير: كانت طيرا من السماء لم يرقبها ولا بعدها مثلها (القرطبي ١٩١/٢٠) واختلف في واحد أبابيل، فقال الجوهري: قال الأخفش: يقال: جاءت إبلك أبابيل أي: فرقا، وطيرا أبابيل قال: وهذا يجبي في معنى الكثير، وهو من الجمع الذي لا واحد له، وقال بعضهم: واحده إبطول مثل عجول، وقال بعضهم: وهو المبرد: مبطيل مثل سكين، قال: ولم أجد العرب تعرف له واحدا في غير الصحاح، وقيل في واحدة إبطال (القرطبي ١٩٧/٢)

قُرَيْش

١- لا يلاف قرَيْش : بما يتعلق اللام ؟ فيه وجوه : (١) انها تتعلق بما قبلها . (٢) متعلقة بما بعد ها . (٣) لا تتعلق بشئ ، في لام التعجب كما في قولهم : لزيد وما صنعنا به أى : اعجبوا من شان زيد ، ومعنى الآية : اعجبوا لا يلاف قرَيْش ، وهذا قول الأخفش والكسائى . على الاول هى تتعلق بجعل ، والتقدير : جعلهم كعصف ما كول لا يلاف قرَيْش بقاءهم ورحلتهم في الأسفار ، وهو قول الزجاج وأبى عبيدة ، ومتعلقة بفعل : أى : فعل ربك بأصحاب الفيل لا يلاف قرَيْش أى : كل ما فعلنا بأصحاب الفيل فقد فعلناه بخاطر القرَيْش ، او هى بمعنى إلى لا يتعلق بفعل ، كانه قال : فعلنا كل ما فعلنا في السورة السابقة الى نعمة أخرى عليهم وهى ايلك فهم رحلة الشتاء والصيف ، تقول : نعمة الى نعمة ، هذا قول الفراء . وعلى القول الثانى هى تتعلق بقوله : فليعبدا ، وهو قول الخليل وسيبويه ، والتقدير : فليعبدا رب هذا البيت لا يلاف قرَيْش أى : ليجعلوا عبادتهم شكراً لهذه النعمة ودخول فاء في فليعبدا لا يمنع ذلك .

وفي الإيلاف ثلاثة أوجه : (١) الإيلاف بمعنى : الالف ، يقال : الفت الشئ وألفته الفاء ، ألفاً ، ايلاًفاً بمعنى واحد (٢) يكون بمعنى اثبات الالف بال تدبير الذى فيه لطف والمعنى : ان هذه الالف في قرَيْش انما حصلت بتدبير الله وهو أنه أهك أصحاب الفيل ، فحصل المسرة وعند المسرة يقع الاتفاق والمواصلة ، فالمصدر مضاف الى المفعول (٣) يكون الايلاف بمعنى التهنية والتجهيز ، وهو قول الفراء وابن العربي والمعنى : لتجهيز قرَيْش رحلتها ، فالمصدر مضاف الى الفاعل . (فتح المنان ٤ / ١٠٦)

الْمَاعُونُ

٣- ولا يحض : أى : لا يأمر به من أجل بخله وتكذيبه بالجزاء ،

وهو مثل قوله تعالى في سورة الحاقة ١٣/٤٩ : ولا يحض على طعام المسكين (القرطبي ٢/٢١١)

٥- الذين هم عن صدقهم ساهون : روى الهذاك عن ابن عباس

قال : هو المصلّى الذي إن صلى لم يزدج لها ثواباً وإن تركها لم ينقص عليها عقاباً ،

وعنه أيضاً : الذين يؤخرونها عن أوقاتها ، وكذا روى المغيرة عن إبراهيم قال :

ساهون بإضاعة الوقت ، وعن أبي العالبيّة : لا يصلونها لمواقيتها ولا يؤتمنون ركوعها

ولا سجودها ، قلت ويبدل على هذا قوله تعالى في سورة مريم ٥٩/١٤ : فخلف من بعدهم

خلفاً ، فكانوا الصلوة (القرطبي ٢/٢١١)

٧- الماعون : فيه أقوال : (١) أنه زكاة أموالهم ، كذا روى الهذاك عن

ابن عباس ، وروى عن عليّ مثل ذلك (٢) أن الماعون : المال بلسان قريش ، قاله ابن

شهاب وسعيد بن المسيّب (٣) أنه اسم جامع لمنافع البيت كالنّاس والقدر والنار وما

أشبه ذلك ، قاله ابن مسعود ، وروى عن ابن عباس أيضاً (٤) ذكر الزّجاج والمبرد

وابو عبيد : أن الماعون في الجاهليّة كلّ ما فيه منفعة ، قالوا : والماعون في الإسلام :

الطاعة والزّكاة (٥) أنه العارية ، عن ابن عباس أيضاً (٦) أنه المعروف كلّهُ ،

الذي يتعاطاه الناس فيما بينهم ، قاله محمد بن كعب والكلبي (٧) أنه منع الحق ،

قاله عبد الله بن عمر (٨) أنه المستعمل من منافع الأموال ، مأخوذ من المعن

وهو القليل ، حكاه الطبري وابن عباس (القرطبي ٧/٢١٤)

الكُوْثَرُ

إِنَّمَا كَالْمُقَابِلَةِ لِلَّتِي قَبْلَهَا ، لِأَنَّ السَّابِقَةَ قَدْ وَصَفَ اللَّهُ تَعَالَى فِيهَا الْمُنَافِقَ
بِأَرْبَعَةِ أُمُورَ : الْبَخْلَ ، وَتَرْكَ الصَّلَاةِ ، وَالزَّيْلَ فِيهَا ، وَمَنْعَ الزَّكَاةِ ، فَذَكَرَ هُنَا
فِي مُقَابِلَةِ الْبَخْلِ : إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكُوْثَرَ أَيُّ : الْكَثِيرَ ، وَفِي مُقَابِلَةِ تَرْكِ الصَّلَاةِ :
فَصَلَ ، أَيُّ دُمَ عَلَيْهِمَا ، وَفِي مُقَابِلَةِ الزَّيْلِ : لِرَيْبِكَ أَيُّ : لِرَهْضِهِ لَا لِلنَّاسِ ، وَفِي
مُقَابِلَةِ مَنْعِ الْمَاعُونِ : وَانْخَرْ ، وَأَرَادَ بِهِ : التَّضَدُّقَ بِحَمْدِ الْأَضَاحِيِّ (التَّقْيِيرِ الْكَبِيرِ
٣١ / ١١٧ ؛ الْبَرْهَانَ ١ / ٣٩ ؛ رُوحُ الْمَعَانِي ٣٠ / ٧٨٢)

١- الكُوْثَرُ : (١) أَنَّهُ نَهْرٌ فِي الْجَنَّةِ ، ذَوَاهُ الْبُخَادِيُّ عَنْ أَنَسٍ وَالتِّرْمِذِيُّ ،

وَذَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ عَنْ ابْنِ عُمَرَ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : الْكُوْثَرُ
نَهْرٌ فِي الْجَنَّةِ ، حَافَتَاهُ مِنْ ذَهَبٍ ، مَجْرَاهُ عَلَى الدَّرِّ وَالْيَاقُوتِ ، تَرْبَتُهُ أَطْيَبُ مِنَ
السَّكِّ ، دَمَاؤُهُ أَحْلَى مِنَ الْعَسَلِ ، أَبْيَضُ مِنَ الشَّيْخِ (٢) أَنَّهُ حَوْضُ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، قَالَ عَطَاءٌ ، وَفِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ عَنْ أَنَسٍ قَالَ : بَيْنَمَا نَحْنُ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا غُفَى رَغْفَاءٌ ، ثُمَّ رَفَعَ رَأْسَهُ مَتَبَسِّمًا فَقُلْنَا : مَا
أَضْحَكَكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ ؟ قَالَ : أُنْزِلَتْ عَلَيَّ آيَةٌ سَوْرَةٌ فَقَرَأْتُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ
الرَّحِيمِ ، إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكُوْثَرَ فَصَلَ لِرَيْبِكَ وَانْخَرَانِ شَانُكَ هُوَ الذَّبْتُ ، ثُمَّ قَالَ :
أَتَدْرُونَ مَا الْكُوْثَرُ ؟ قُلْنَا : اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ ، قَالَ : إِنَّهُ نَهْرٌ وَعَدْنِيهِ رَبِّي
عَزَّ وَجَلَّ ، عَلَيْهِ خَيْرُ كَثِيرٍ ، هُوَ حَوْضُ تَرَدُّدٍ عَلَيْهِ أُمَّتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، آيَتُهُ عَدَدُ
النُّجُومِ ، نِيْحَتُاجُ الْعِبَادِ مِنْهُمْ ، نَأْتُونَ : إِنَّهُ مِنْ أُمَّتِي ، يُقَالُ : أَنْكَ لَا تَدْرِي
مَا أَتَدْرُونَ بَعْدَكَ (الْقُرْطُبِيُّ ٢٠ / ٢١٤)

وَفِي الْحَدِيثِ الطَّوِيلِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ مَرْفُوعًا : أَلَا لَيْدُ أَدَاتِ رِجَالٍ عَنْ

حوضي كما يذاد البعير الضال ، و أنا ديمهم : ألهلم فيقال : انهم قد أخذوا
بعذك ، وأقول : سحاسقا (ابن خزيمة ٧/١)

٢- **فصل لربك والحر** : فصل لربك : لترتيب ما بعد ما على ما
قبلها ، فإن أعطائه تعالى إياه عليه السلام ما ذكر من العطية التي لم يعطاها
أحد من العالمين مستوجب الأمور به أي : استيجاب أي : ندم على الصلوة
لربك الذي أفان عليك هذه النعمة الجليلة التي لا يضاهاها نعمة ، خالصا
لوجهه ، خلاف الساهين عنها ، المرائين فيها ، أداء الحقوق شكرها ، فإن الصلوة
جامعة لجميع أقسام الشكر ، والحر : البذل التي هي خير أموال العرب
باسم تعالى ، و تصدق على المحاويج خلافا لمن يدعهم ويمنع عنهم الماعون -
(أبو السعود ٢٠٥/٩)

٣- **ان شائك هو الأبتير** : أي : ميفضك ، كائنا من كان
هو الأبتير ، أي : الذي لا عقب له (أبو السعود ٢٠٥/٩) هذا جزاء كل من شئنا
ما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم لأجل هواه ، كمن تأول آيات الصفات أو
أحاديثها على غير مراد الله تعالى ومراد رسوله صلى الله عليه وسلم ، أو تمنى أن
لا تكون نزلت أو قيلت ، ومن أقوى العلامات على شئانه نفرتة عنها إذا سمعها
حين يستدل بها السلفي على ما دلّت عليه من الحق ، وأي شئان للرسول صلى الله عليه
وسلم أعظم من ذلك ، وكذلك أهل السماء ، الذين يرقصون على سماع الغناء و
الدفوف والشبابات ، فإذا سمعوا القرآن يتلى أو قُرأ في مجلسهم استطالوه واستنقأوه
وكذلك من آثر كلام الناس وعلومهم على القرآن والسنة (روح المعاني ٢٨٧/٣)

الكِفْرُون

يُحكي أَنَّ بعض الزنادقة سأل الحسن بن علي رضي الله عنهما عن قوله تعالى:
لَا تُعْبِدُوا مَا تُعْبُدُونَ وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا يُعْبَدُ ، وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا يُعْبَدُ ، وَلَا أَنْتُمْ
عَابِدُونَ مَا يُعْبَدُ ، فقال : إني أجد في القرآن تكراراً وذكر له ذلك ، فأجابه
الحسن بما حاصله : أَنَّ الكفار قالوا : نعبد الهك شهراً ونعبد الهتنا شهراً ،
فجاء النفي متوجهاً الى ذلك .

والمقصود أَنَّ هذه ليست من التكرار في شيء ، بل هي حذف ، والإختصار
أليق ، وذلك لأنَّ قوله : لَا تُعْبِدُوا مَا تُعْبُدُونَ أَي : لَا تُعْبِدُوا فِي الْمُسْتَقْبَلِ مَا
تُعْبُدُونَ فِي الْمُسْتَقْبَلِ ، وقوله : وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا يُعْبَدُ أَي : وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ فِي الْحَالِ
مَا تُعْبُدُونَ فِي الْمُسْتَقْبَلِ ، وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ فِي الْحَالِ مَا تُعْبُدُونَ فِي الْمُسْتَقْبَلِ .

والحاصل : أَنَّ القصد نفي عبادته لأهلتمهم في الأزمنة الثلاثة : الحال
والماضي والمستقبل ، والمذكور في الآية : النفي في الحال والإستقبال ، وحذف الماضي
من جهته وجهتهم ، ولابد من نفيه ، لكنه حُذِفَ لدلالة الأولين عليه .
وفيه تقدير آخر ، وهي : أَنَّ الجملة الأولى فعلية والثانية اسمية ، وقولك :
لَا أَفْعَلُهُ وَلَا أَنْتُمْ أَفْعَلُهُ ، أحسن من قولك : لَا أَفْعَلُهُ وَلَا أَفْعَلُهُ ، فالجملة الفعلية
نفي لإمكانه ، والإسمية نفي لإتصافه كما في قوله تعالى : وما أَنْتَ بِهَادِي الْعَمَى
عن ضلالتهم (السر ٥٣ / ٣) وقوله : وما أَنْتَ بِسَمِيعٍ مَنْ فِي الْقُبُورِ (فاطر ٢٢ / ٣٥)
والمعنى : أَنَّهُ تَبَرُّأٌ مِنْ فَعْلِهِ وَمِنْ الْإِتِّصَافِ بِهِ ، وهو أبلغ في النفي ، وأما المشتركون
فلم ينتف عنهم الابصيغة واحدة ، وهي قوله : وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا يُعْبَدُ ، في الموضعين
وفرق آخر وهو : أَنَّهُ قَالَ فِي نَفْيِهِ الْجُمْلَةَ الاسْمِيَّةَ : وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا يُعْبَدُ ،

وقال في النفي عنهم : ولا أنتم عابدون ما أعبد ، عائدٌ في حقّه بين المجملتين ،
 وقال : لا أعبد ما تعبدون ، المضارع ، وفي الثاني : ولا أنا عابد ما عبدتم ، بالماضي
 فإن المضارع يدلّ على الدوام بخلاف الماضي ، فأخا وذالك أن ما عبدتموه
 ولو مرةً ما أنا عابد له ألبتة ، ففيه كمال براءته ودوامها ممّا عبده ولو
 مرةً بخلاف قوله : لا أعبد ما تعبدون ، فإن النفي من جنس الإثبات ، وكلاهما
 مضارع ، يظهران جملةً ومنفرداً (البرهان ٣ / ٢١ ، ٢٢)

قال الحافظ ابن القيم : إن قوله : لا أعبد ما تعبدون ، نفي للحال والمستقبل
 وقوله : ولا أنتم عابدون ما أعبد مقابلةً أي : لا تفعلون ذالك ، وقوله :
 ولا أنا عابد ما عبدتم أي : لم يكن منّي ذالك قط قبل نزول الوحي ، ولهذا
 أتى في عبادتهم بلفظ الماضي فقال : ما عبدتم ، فكأنه قال : لم أعبد قط ما عبدتم ،
 وقوله : ولا أنتم عابدون ما أعبد مقابلةً أي : لم تعبدوا قط في الماضي ما
 أعبدته أنا دائماً ، وعلى هذا فلا تكرار أصلاً ، وقد استوفت الآيات أقسام النفي
 ماهياً وحالاً ومستقبلاً عن عبادته وعبادتهم بأوجز لفظ وأخصر وأبينه .

(بدائع الفوائد ١ / ١٣٥)

٧ . لكم دينكم ولي دين : هذا الأخبار : بأن لهم دينهم وله دينه ،
 هل هو إقرار فيكون منسوخاً أو مخصوصاً أو لا نسخ في الآية ولا تخصيص ؟ فهذه
 مسألة شريفة من أهم المسائل المذكورة ، وقد غلط في السورة خلطاً ، وظنوا أنها
 منسوخة بآية السيف ، لإعتقادهم أن هذه الآية اقتضت التقدير لهم على دينهم ،
 وظنّ آخرون أنها مخصوصة بمن يفرون على دينهم وهم أهل الكتاب ، وكلا القولين
 غلط محض ، فلا نسخ في السورة ولا تخصيص ، بل هي محكمة ، عمومها نفي محفوظ ، وهي
 من السور التي يستحيل دخول النسخ في مضمونها ، فإن أحكام التوحيد التي اتفقت
 عليه دعوة الرسل يستحيل دخول النسخ فيه ، وهذه السورة اخلصت التوحيد
 ولهذا تسمى سورة الإخلاص ، ومنشأ الغلط ظنهم أن الآية اقتضت إقرارهم على

دينهم ، ثم رأوا أن هذا الإقرار زال بالسيف فقالوا منشوخ .

وقالت طائفة : زال عن بعض الكفار ، وهم من لا كتاب لهم فقالوا : هذا
مفصوص ، ومعاذ الله أن تكون الآية اقتضت تقريراً لهم أو إقراراً على دينهم
أبدًا ، بل لم يزل رسول الله صلى الله عليه وسلم في أول الأمر وأشدّه عليه
وعلى أصحابه أشد على الإنكار عليهم ، وعيب دينهم ويتركونه وشأنه ، فأبى
إلا مضياً على الإنكار عليهم وعيب دينهم ، فكيف يقال : ان الآية اقتضت
تقريره لهم ؟ معاذ الله من هذا الزعم الباطل ، والها الآية اقتضت البراءة
المحنة كما تقدم ، وأن ما هم عليه من الدين لا نوافقكم عليه أبدًا ، فإنه
دين باطل ، فهو مختص بكم ، لا نشركم فيه ، ولا أنتم تشركونا في ديننا الحق .
فهذا غاية البراءة والتصل عن موافقتهم في دينهم ، فأين الإقرار حتى يدعى الشخ
أو التخصيص ؟ (بدائع الفوائد ١/ ١٤١)

النَّصْر

وتسمى سورة التوديع ، وهي آخر سورة نزلت جميعاً كما في صحيح مسلم من ابن عباس

(القرطبي ٢ / ٢٢٩)

١- **إذا جاء نصر الله والفتح** : أي : أعانته تعالى وإظهاره إياك

على عدوك ، والفتح أي : فتح مكة ، وقيل : جنس نصر الله تعالى ومطلق الفتح ، فان فتح مكة لما كان مفتاح الفتوح ومناطها كما أن نفسها أم القرى وإمامها ، جعل مجيئه بمنزلة مجيء سائر الفتوح (أبو السعود ٩ / ٢٠٨)

٢- **أفواجاً** : حال من فاعل يد خلون أي : يد خلون فيه جماعات كثيفة ،

كأهل مكة والطائف واليمن وهوازن وسائر قبائل العرب ، وكانوا قبل ذلك يد خلون واحداً واحداً واثنين اثنين (أبو السعود ٩ / ٢٠٨)

٣- **نسبح بحمد ربك** : أي : فنزهه تعالى بكل ذكر يدل على التزنية

حامداً له جل وعلا ، زيادةً في عبادته وإشناء عليه سبحانه لزيادة إفعاله سبحانه عليك ، فالنسبح : التزنية ، لا التلغظ بكلمة سبحانه الله (روح المعاني ٣ / ٢٩٧)

٣- **واستغفرة** : هضاً لنفسك وإستقصاراً لعملك وإستعظماً

لحقوق الله تعالى وإستدراكاً لما فرط منك من ترك الأولى (أبو السعود ٩ / ٢٠٩)

الْلَهَبُ

١- تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ : معنى تَبَّتْ : خَسِرَتْ ، قاله قتادة ، وقيل :

خَابَتْ ، قاله ابن عباس ، وقيل : ضَلَّتْ ، قاله عطاء ، وقيل : هَلَكَتْ ، قاله ابن جرير ، وقال يمان بن رثاب : صَفَرْتُ مِنْ كُلِّ خَيْرٍ وَالْقُرْطُبِيُّ ٢ / ٢٣٥) وَخَصَّ الْيَدَيْنِ بِاللَّهَبِ لِأَنَّ الْعَمَلَ أَكْثَرُ مَا يَكُونُ بِهِمَا أَيْ : خَسِرْتُا وَخَسِرَهُو ، وَقَدْ يَعْتَرِضُ النَّفْسَ بِالْيَدِ ، كَمَا قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : بِمَا قَدَّمْتَ يَدَاكَ (١ الْحَجَّ ١٠ / ٢٢) أَيْ : نَفْسَكَ (الْقُرْطُبِيُّ ٢ / ٢٣٤) وَتَبَّتْ ، قَالَ الْفَرَّاءُ : اللَّهَبُ الْأَوَّلُ : دَعَاءٌ ، وَالثَّانِي : خَيْرٌ ، كَمَا يَقَالُ : أَهْلَكَ اللَّهُ

وَقَدْ هَلَكَ (الْقُرْطُبِيُّ ٢ / ٢٣٤)

أَبُولَهَبٍ هُوَ : عَبْدِ الْعَزْزِيِّ بْنِ عَبْدِ الْمَطْلَبِ بْنِ هَاشِمٍ ، عَمُّ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَكُنِيَ بِأَبِي لَهَبٍ لِحَسَنِهِ وَإِشْرَاقِ وَجْهِهِ ، فَإِنْ قُلْتَ : لَمْ كُنَاهُ ، وَفِي الْكُنْيَةِ تَشْرِيفٌ وَشُرْكَةٌ ، قُلْتَ : فِيهِ وَجْهُ : (١) ، أَنَّهُ كَانَ مُشْتَهَرًا بِالْكُنْيَةِ دُونَ الْإِسْمِ ، فَلَوْ ذَكَرَ بِاسْمِهِ لَمْ تُعْرِفْ - (٢) أَنَّهُ كَانَ اسْمُهُ عَبْدِ الْعَزْزِيِّ ، فَعُدِلَ عَنْهُ إِلَى كُنْيَتِهِ لِمَا فِيهِ مِنَ الشَّرْكِ (٣) ، أَنَّهُ لِمَا كَانَ مِنْ أَهْلِ النَّارِ وَمَا لَهُ مِنَ النَّارِ ، وَالنَّارُ ذَاتُ لَهَبٍ ، وَافْتَقَتْ حَالَهُ كُنْيَتُهُ ، وَكَانَ جَدِيرًا بِأَنْ يُذَكَرَ بِهَا (الْحَازَنُ ٧ / ٣١٧) : التَّعْرِيفُ وَالْإِعْلَامُ / ١٨٨)

عَنْ جَامِعِ بْنِ شَدَّادٍ عَنْ طَارِقِ الْحَمَارِيِّ قَالَ : رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَرَّقًا سَوْقَ ذِي الْحِمَازِ ، وَعَلَيْهِ حَلَّةٌ حَرَاءٌ وَهُوَ يَقُولُ : يَا أَيُّهَا النَّاسُ قُولُوا : لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ نَقُصُوا ، وَرَجُلٌ يَتَّبِعُهُ يَرْمِيهِ بِالْحِجَارَةِ ، قَدْ أَدْمَى كَبْيِيهِ وَعَرَقَوْبِيهِ ، وَهُوَ يَقُولُ : يَا أَيُّهَا النَّاسُ لَا تَطْبِعُوهُ فَإِنَّهُ كَذَابٌ ، فَقُلْتُ : مَنْ هَذَا ؟ قَالُوا : غُلَامُ بَنِي عَبْدِ الْمَطْلَبِ ، فَقُلْتُ : مَنْ هَذَا الَّذِي يَتَّبِعُهُ يَرْمِيهِ بِالْحِجَارَةِ ؟ قَالُوا هَذَا عَبْدُ الْعَزْزِيِّ

أبولهب (ابن خزيمة ٨٢/١، أسد الغابة ٤٩/٣)

ج - وامراته حمالة الخطب :

حرب بن أمية واسمها العواء (التعريف والاعلام ١٨٨) وكانت عذراء (القرطبي ٣٧٣)

حالة الخطب، قال ابن عباس ومجاهد وقتادة والسدي : كانت تمشي بالخميمة

بين الناس، تقول العرب : فلان يحطّب على فلان : اذا وّش عليه (القرطبي ٢٣٩/٢)

الخازن ٣١٨/٧ : روح المعاني ٣٠٣/٣

كانت نّامة حمالة للحديث إفساداً بين الناس، وسمّيت النخيمة حطباً لأنها

تنشر العداوة بين الناس كما أنّ الحطب ينشر النار (الزواجر من اقتراف الكبائر ٢٣/٢)

الإخلاص

فضلها : (١) عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إذا نزلت تعدل نصف القرآن ، وقل هو الله أحد تعدل ثلث القرآن ، وقل يا أيها الكافرون تعدل ربع القرآن (الترمذي ١١٧/٢)

(٢) عن أبي أيوب رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أيعجز أحدكم أن يقرأ في ليلة ثلث القرآن ، من قرأ : قل هو الله أحد فقد قرأ ثلث القرآن - (الترمذي ١١٧/٢)

١- قل هو الله أحد : أي : الواحد الوتر الذي لا شبيه له ، ولا نظير ولا صاحبة ولا ولد ولا شريك (القرطبي ٢٠/٢٤٤) يعني : الواحد الأحد الذي لا نظير له ولا وزير ولا نديد ولا شبيه ولا عديل ، ولا يطلق هذا اللفظ على أحد في الإثبات إلا على الله عز وجل ، لأنه الكامل في جميع صفاته وأفعاله (ابن كثير ٣٩٨/٤) واعلم أن وصف الله تعالى بالواحد له ثلاثة معان ، كلها صحيحة في حق تعالى :

(١) أنه واحد لا ثاني معه ، فهي نفى للعدد -

(٢) أنه واحد لا نظير له ولا شريك ، كما تقول : فلان واحد في عمره أي : لا نظير له -

(٣) أنه واحد لا ينقسم -

والمراد بالسورة نفى الشريك ردّاً على المشركين ، وقد أقام الله تعالى في القرآن براهين قاطعة على وحدانية ، وذلك كثير جداً ، وأوضحها أربعة براهين :

(١) قوله تعالى : **أَفَمَنْ يَخْلُقُ كَمَنْ لَا يَخْلُقُ** : (النحل ١٧/١٧) وهذا دليل الخلق والإيجاد ، فإذا ثبت أن الله تعالى خالق بجميع الموجودات لم يصح أن يكون واحد منها شيئاً -

(٢) قوله تعالى : **لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا** (الأنبياء ٢١/٢٢) وهذا دليل الإحكام والإبداء

(٣) قوله تعالى : لو كان معه الهة كما يقولون إإذا لا بتغوا إلى ذي العرش سبيلا

(الاسراء ٤٢/١٧) وهودليل القهر والغلبة :

(٤) قوله تعالى : ما اتخذ الله من ولد وما كان معه من إله إذا لذهب كل

إله بما خلق ولعل بعضهم على بعض (المؤمنون ٩١/٢٣) وهودليل التنازع

والاستعلاء (التسهيل ٤/٢٢٣)

٢- الله الصمد : أى : المستغنى عن كل أحد ، والمحتاج إليه كل أحد

(شرح الفقه الأكبر لعل القارى / ١٦) يعنى : السيد الغنى عن كل شيء ، الذى

يقتقر إليه كل شيء سواه (شرح الفقه الأكبر لأبى المنتهى / ١١) قال ابن الأنبارى :

لا خلاف بين أهل اللغة أنه السيد الذى ليس فوقه أحد ، الذى يصمد إليه

في حوائجهم وامورهم ، وقال الزجاج : هو الذى ينتهى إليه السؤدد ويصمد إليه

أى : يقصده كل شيء (روح المعاني ٣/ ٣١٥) ومن أبى صريوة رضى الله عنه :

هو المستغنى عن كل أحد (روح المعاني ٣/ ٣١٥)

وقال ابن عباس رضى الله عنهما يعنى : الذى يصمد إليه الخلق في حوائجهم

ومسائلهم (ابن كثير ٤/ ٤٩٨)

أى : هو الذى يقصده العباد ويتوجهون إليه ، لقضاء ما أهتهم دون واسطة

إلى شفيع ، وبهذا أبطل عقيدة مشركى العرب الذين يعتقدون بالوسائط والشفعاء ،

وعقيدة غيرهم من أهل الأديان الأخرى الذين يعتقدون بأن لرؤسائهم منزلة

عند ربهم ينادون بها التوسط لغيرهم في نيل مبتغاهم ، فياجئون إليهم أحياء وأمواتا ،

ويقومون عند قبورهم خاضعين خاشعين ، كما يمشعون لله أو أشد خشية

(المراعى ٣/ ٢٦٥)

المعجزات

فصلهما (١) عن عائشة رضي الله عنها : أن النبي صلى الله عليه وسلم كان إذا أوى إلى فراشه كل ليلة جمع كفيه ثم نفث فيهما ، فيقرأ فيهما : قل هو الله أحد ، وقل أعوذ برب الفلق ، وقل أعوذ برب الناس ثم يمسي بهما ما استطاع من جسده ، يبدأ بهما على رأسه ووجهه وما أقبل من جسده ، يفعل ذلك ثلاث مرات (البخاري ٧٥٠/٢)

(٢) وعن عائشة أيضًا : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان إذا اشتكى يقرأ على نفسه بالمعوذات وينفث ، فلما اشتد وجعه كنت أقرأ عليه وأمسح بيده رجاء بركتها (البخاري ٧٥٠/٢)

عن عائشة رضي الله عنها قالت : سحر النبي صلى الله عليه وسلم حتى كان يحيل إليه أنه يفعل الشيء وما يفعله حتى كان ذات يوم دعا ودعا ثم قال : أشعرت أن الله قد أنثنى فيما فيه شفاؤي ، أتاني رجلان فقعد أحدهما عند رأسي والآخر عند رجلي فقال أحدهما للآخر : ما وجع الرجل ؟ قال : مطبوع قال : ومن طبه ؟ قال : لبيد بن الأعصم ، قال : فيما ذا ؟ قال : في مشط ومشاقة وجفت طلع ذكرك ، قال في يثروان الحديث (البخاري ٤٢٢/١ ، مسلم ٢٢١/٢)

سالم الطوبى : المسحور ^س المشاقة : ما يستخرج ويفزل من الكتان .
س الجف : (بضم الجيم وتشديد الفاء) الفشاء الذي يكون على الطلع ، ويطلق على الذكرو الأنثى ، فلذا قيده بقوله : ذكر .
س يثروان : هي بئر بالمدينة في بستان بن زريق .

قال الامام المازني : اعلم أن المعتزلة أنكروا ذلك (أي : السحر) بأسرهم

قال القاضي : هذه الرواية باطلة ، وكيف يمكن القول

بصحتها والله تعالى يقول : والله يعصمك من الناس ، وقال : ولا يفلح الساحر

حيث أتى ، ولأن تجويزه يفضي الى القدح في النبوة ، ولأنه لو صح ذلك

لكان من الواجب أن يصلوا الى الضرر لجميع الأنبياء والصالحين ولقد رَوَوْا على

تحقيل ذلك العظيم لأنفسهم ، وكل ذلك باطل ، ولأن الكفار كان يعيرونه

بأنه مسحور ، فلو وقعت هذه الواقعة لكان الكفار صادقين في تلك الدعوة

ولحصل فيه عليه السلام ذلك العيب ، ومعلوم أن ذلك غير جائز -

والجواب : أن الكفار كانوا يريدون بكونه مسحوراً : أنه مجنون ، أذيل

عقله بواسطة السحر ، فلذلك ترك دينهم ، فأما أن يكون مسحوراً بالهرم يجد في

بدنه فذلك مما لا ينكره أحد ، وبالحيلة فإله تعالى ما كان يسلك عليه لا شيطاناً

ولا أنبياء ولا جنياً يؤذيه في دينه وشرعه وبنوته ، فأما في الإضرار ببدنه

فلا يبعد (التفسير الكبير ٢٢ / ١٨٧ ، ١٨٨)

قال الامام النووي : قال الامام المازني : مذهب أهل السنة وجمهور علماء

الأمة على إثبات السحر ، وأن له حقيقة حقيقة

غيره من الأشياء الشابتة ، خلافاً لمن أنكروا ذلك ونفي حقيقته ، وأضاف ما

يفتح منه الى خيالات باطلة لا حقائق لها ، وقد ذكره الله تعالى في كتابه ، وذكر

أنه مما يتعلم ، وذكر ما فيه اشارة الى أنه مما يكفر به ، وأنه يفرق بين

المرء وزوجه ، وهذا كله لا يمكن فيما لا حقيقة له ، وهذا الحديث أيضاً مفرح

(١) وقد أنكروا الجصاص الحنفى حيث قال : ومثل هذه الاخبار من وضع الملحدين ،

تلعبا بالحشو الطغام واستجاراً لهم الى القول بإبطال معجزات الأنبياء عليهم السلام -

بإثباته ، وأثبت أشياء دُفنت وأُخرجت ، وهذا كله يبطل ما قالوه ،
فإحالة كونه من الحقائق محال ، ولا يُستنكر في العقل (شرح المسلم ٢ / ٢٢١)
وقال أيضاً : وقد أنكر بعض المبتدعة هذا الحديث بسبب آخر ، فزعم أنه
يحط منصب النبوة ويشكك فيها ، وأن تجويزه يمنع الثقة بالشرع ، وهذا
الذي ادّعاء هؤلاء المبتدعة باطل ، لأن الدلائل القطعية قد قامت على
صحته وعصمته فيما يتعلق بالتبليغ ، والمعجزة شاهدة بذلك ، وتجويزه ما قام
الدليل بخلافه باطل ، فأما ما يتعلق ببعض أمور الدنيا التي لم يبحث بسببها ،
ولا كان مفضلاً من أجلها ، وهو مما يعرض للبشر ، فغير بعيد أن يُخيّل إليه
من أمور الدنيا ما لا حقيقة له . (شرح المسلم ٢ / ٢٢١)

وقال أيضاً : قال القاضي مياض : وقد جاءت روايات هذا الحديث مبينة أن
السحر إنما تُسلط على جسد هـ وتزاهر جوارحه ، لا على قلبه وعقله واعتقاده .
(شرح المسلم ٢ / ٢٢١)

قال الحافظ العسقلاني : وقع في مرسل عبد الرحمن بن كعب عند ابن سعد :
فقال أخت لبيد بن الأعصم إن يكن نبيا فسيخبروا لآ فسيذهله هذا السحر
حتى يذهب عقله ، قلت : فوقع الشق الأول كما في هذا الحديث الصحيح .

رفع الباري ١٠ / ٢٢٧
قال الحافظ ابن القيم : السحر الذي أصابه كان مرضاً من الأمراض ، عارضاً
شفاه الله منه ، ولا نقص في ذاك ولا عيب بوجه ما ، فإن المرض يجوز على الأنبياء ،
وكذلك الإغماء ، فقد أغشى عليه في مرضه ، ووقع حين انكسرت قدومه مُحِشٌّ شَقَّةً ،
وهذا من البلاء الذي يزيد الله به رفعة في درجاته ونيل كرامته ، وأشد الناس

س في الحديث : أنه صلى الله عليه وسلم سقط عن فرس فمحشش شقه أى : انخدش

وكان ذاك في غزوة أحد حين تكأ عليه المشركون

بلاءُ الأنبياء ، فابتلوا من أمهم بما ابتلوا به : من القتل والطرب والشتم
والحبس ، فليس يبدع أن يبتلى بالذي أُلقي على ظهره السِّلَا وهو ساجد وغير
ذلك فلا نقص عليهم ولا عار في ذلك ، بل هذا من كمالهم وعلو درجاتهم عند
الله تعالى (بدائع الفوائد ٢/ ٢٢٤)

وقال أيضاً : وهذا الحديث ثابت عند أهل العلم بالحديث ، متلقى بالقبول منهم
لا يختلفون في صحته ، وقد إعتاضوا على كثير من أهل الكلام وغيرهم ، وأنكروه
أنشد الإنكار وقابلوه بالتكذيب ، وصنف بعضهم فيه مصنفا منفردا ، حل فيه
على هشام ، وكان غاية ما أحسن القول فيه أن قال : غلط واشتباه عليه الأمر
----- وهذا الذي قاله هؤلاء مردود عند أهل العلم ، فإن هشاما من أوثق
الناس وأعلمهم ، ولم يقدح فيه أحد من الأئمة بما يوجب رد حديثه ، فما
للمتكلمين وما لهذا الشأن ، وقد رواه غيره هشام عن عائشة ، وقد اتفق أصحاب
الصحيحين على تصحيح هذا الحديث ، ولم يتكلم فيه أحد من أهل الحديث بكلمة
واحدة ، والقصة مشهورة عند أهل التفسير والسنة والحديث والتاريخ والفقهاء ،
وهؤلاء أعلم بأحوال رسول الله وأيامه من المتكلمين (بدائع الفوائد ٢/ ٢٢٣ ، ٢٢٤)
فإن قيل : نحتاج على منع السريفة تعالى : والله يصمك من الناس (المائدة ٦٥)
قلت : عنه جوابات :

(١) أنه عصمه عن القتل والأشرو تلف المجلة ، فأما عوارض الأذى فلا تمنع عصمة
المجلة .

(٢) أن هذه الآية نزلت بعد ما جرى عليه ذلك ، لأن الماشدة من أواخر ما نزل
بالمدينة ، وقد سُجِّروا وذُي قبل نزول هذه الآية .

سَلَا : ما يخرج من بطن الناقة ونحوها مع الولد مما كان في الرحم لحفظه

فإن قيل : نحتاج بقوله تعالى : **أذ يقول الظالمون إن تتبعون إلا رجلاً مسحوراً** (الاسراء ٤٧/١٧) وبقوله : **وقال الظالمون إن تتبعون إلا رجلاً مسحوراً** (الفرقان

١٨/٢٥

قلت : أن المسحور على يابه ، وهو من سحر حتى جُنَّ ، فقالوا : مسحور مثل جهنوت أي ذائل العقل ، لا يعقل ما يقول ، فإن المسحور الذي لا يتبع ، هو الذي فسَد عقله بحيث لا يدرى ما يقول ، فهو كالجهنم ، ولهذا قالوا فيه : **معلم جهنم** (الدخان ٤٤/١٤) فأما من أُصيب في بدنه من مرض من الأمراض يُصاب به الناس فإنه لا يمنع ذلك من اتباعه ، وأعداد الرسل لم يقذفواهم بأمراض الأبدان ، وإنما قذفواهم بما يجدون به سفها لهم من اتباعهم ، وهو أنهم قد سُحروا ، حتى صاروا لا يعلمون ما يقولون ، بمنزلة العجائز — والمسلمون لا يقولون بمقالة الظالمين المفتريين (بدائع الفوائد ٢/٢٢٩)

فإن قيل : السحر تخيل فقط ، كما في قوله تعالى : **فإذا جبالهم وعميقهم يخيّل** إليه من سحرهم أنها تسعى (طه ٥٧/٢٠)

قلت : قال الحافظ ابن حجر : هذه الأية عمدة من زعم أن السحر إنما هو تخييل ، ولا حجة له بها ، لأن هذه وردت في قصة سحرة فرعون ، وكان سحرهم كذلك (أي : تخييل) ولا يلزم منه أن جميع أنواع السحر تخييل (فتح الباري ١٠/٢٢٥)

فإن قيل : نستدل بقوله تعالى : **ولا يفلح الساحر حيث أتى** (طه ٧٩/٢٠)

قلت : معناه : لا يسعد الساحر حيث كان ولا يفوز ، وليس معنى لا يفلح : لا يستطيع السحر ، بل إذا سحر فلا يفلح ، ولأياً من من حيث وُجد ، فذلك عدم فلاحه .

ابن مسعود رضي الله عنه والكاره : أخرج أحمد والبيهقي والطبراني وابن مردويه من طريق صحيحة عن ابن عباس وابن مسعود أنه كان يحك المعوذتين من المصحف ، ويقول لا تخلطوا بقرآن بما ليس منه ، إنما ليستا من كتاب الله ، إنما أمر النبي صلى الله عليه وسلم أن يتخذ بهما ، وكان ابن مسعود لا يقرأ بهما (الدر المنثور ١٤/٦) ، فتح القدیر ٥/٥١٨

قلت : (١) أخرجه الطبراني بسند حسن عن ابن مسعود رضي الله عنه النبي صلى الله عليه وسلم قال : لقد أنزل على آيات لم ينزل على مثلهن : المعوذتين (الله الشكور ١٤٤/٤ ، نزل الأبرار / ١٤٤)

(٢) قال الفخر الرازي : الأغلب على الظن أن هذا النقل عن ابن مسعود كذب باطل (فتح الملهم ٣٥٨/٢)

(٣) وقد عقد القاضي أبو بكر في كتابه : الإحصاء للقرآن ، وهو الكتاب العظيم لا ينبغي لعالم أن يخلو عن تحصيله باباً ، فيه خطأ النقل عن عبد الله بن مسعود ، وأن الدليل القاطع قائم على كذبه على عبد الله بن مسعود وبرأئته منها طبقات الشافعية الكبرى لنساج الدين السبكي (٢٠٧/٢)

(٤) أن نسبة الإنكار إلى ابن مسعود باطل (فوائح الرحمة ٩/١)

(٥) وكل ما روى عن ابن مسعود من أن المعوذتين وأُم القرآن لم تكن في مصحفه فكذب موضوع ، لا يصح ، وإنما صححت عنه قراءة عاصم عن زر بن حبیش عنه وفيها المعوذتان والفاحة (البرهان ١٢٨/٢ ، المحلى ١٣/١ ، فتح الملهم ٣٥٨/٢)

(٦) قال النووي في شرح المهذب : وما نقل عن ابن مسعود فهو باطل ، ليس بصحيح (البرهان ١٢٨/٢)

(٧) وقال النووي أيضاً : وفي هذا الحديث دليل واضح على كونهما من القرآن ، ورد على من نسب إلى ابن مسعود خلاف ذلك ، قال المفتاح : وما نسب إلى ابن مسعود لا يصح ، بل نواتر عنه عندنا أنهما من القرآن ، ولا يتم ختم القرآن لآلهما ، وصحت الأحاديث بذلك من طرق وانعقد إجماع المسلمين على ذلك (شرح المسلم ٢٧٢/١ ، نزل الأبرار / ١٤٤ ، الشرائع ٤٣٩/٤)

قارن قيل : قال ابن قتيبة : لم يكتب عبد الله بن مسعود رضي الله عنه في مصحفه المعوذتين ، لأنه كان يسمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يعوذ الحسن والحسين رضي الله عنهما بهما ، فقد رآتهما بمنزلة : أعيد كما بكات الله التامة ، من

كل شيء وهامة ، ومن كل عين لامة . (القرطبي ٢٠ / ٢٥١)

قلت : قال أبو بكر الأندلسي : وهو مردود على ابن قتيبة ، لأن المعوذتين من كلام رب العالمين ، المعجز لجميع المخلوقين ، وأعيد كما بكلمات الله التامة من قول البشريين ، وكلام الخالق الذي هو آية لمحمد صلى الله عليه وسلم خاتم النبيين ، ووجهة له بالنية على جميع الكافرين ، لا يأتس بكلام الآدميين ، على مثل عبد الله بن مسعود رضي الله عنه الفصح ، اللسان ، العالم بالغة ، العارف بأجناس الكلام وأفاضل القول (القرطبي ٢٠ / ٢٥١)

فإن قيل : قال بعض الناس : لم يكتب ابن مسعود رضي الله المعوذتين ، لأنه أُن من عليهما النسيان فأسقطهما ، وهو يحفظهما (القرطبي ٢٠ / ٢٥١) البرهان ٢ / ١٢٨ **قلت** : رد هذا القول على قائله ، واحتج عليه بأنه قد كتب : إذا جاء نصر الله والفتح ، وأتاه عطيناك الكوثر ، وقل هو الله أحد ، وهن يجبرين مجرى المعوذتين في أنهن غير طرأ ، والحفظ اليهن أسرع ، ونسيانهن مأمون (القرطبي ٢٠ / ٢٥١) **فإن قيل** : قال الحافظ أبو يعلى : حدثنا الأذرق بن علي ، حدثنا حسان بن إبراهيم ، حدثنا الصلت بن بهرام عن إبراهيم بن علقمة قال : كان ابن مسعود رضي الله عنه يكتب المعوذتين من المصحف (ابن كثير ٤ / ٤٩٩)

قلت : أذرق بن علي صدوق يغرب (التقريب ٢٩ / ٢٩) ذكره ابن حبان في الثقات وقال : يغرب (التقريب ١ / ٢٠٠) وحسان بن إبراهيم وثقه أحمد وغيره ، وقال أبو زرعة : لا بأس به . قال النسائي : ليس بالقوي ، وقال ابن عدي : حدث بأفراد كثيرة وهو من أهل الصدق إلا أنه يغلط (الميزان ١ / ٤٧٧) خلاصة التهذيب (٢٠٥ / ٢٠٥) والصلت ابن إبراهيم قال فيه أحمد : كوفي ثقة ، وقال أبو حاتم : لا عيب له إلا الإرجاء ، وكذا تكلم فيه أبو زرعة للإرجاء (الميزان)

فإن قيل : الأعمش عن أبي إسحاق عن عبد الرحمن بن يزيد قال : كان عبد الله بن مسعود رضي الله عنه يكتب المعوذتين من مصاحفه ويقول : انهما ليستا من كتاب الله (ابن كثير ٤ / ٣٩٩)

قلت: ألا عمش هو: سليمان بن مهران، وكان يدلس، وصفه بذلك الكرابيسي

والنسائي والدارقطني وغيرهم (طبقات المدلسين ١٠/١، خلاصة التهذيب ٤٢٠/١)

وهو يدلس وربما دلس عن ضعيف، ولا يدرى به، فمضى قال: حدثنا فلا كلام،

ومضى قال: عن، تطرّق إليه احتمال المدلس (الميزان ٢٢٤/٢)

في كتابه ورواه عنه ما رواه أبو عبد الله في كتابه في فضائل أبيه (١٠٠٩)

في كتابه في فضائل أبيه (١٠٠٩) في كتابه في فضائل أبيه (١٠٠٩) في كتابه في فضائل أبيه (١٠٠٩)

في كتابه في فضائل أبيه (١٠٠٩) في كتابه في فضائل أبيه (١٠٠٩) في كتابه في فضائل أبيه (١٠٠٩)

في كتابه في فضائل أبيه (١٠٠٩) في كتابه في فضائل أبيه (١٠٠٩) في كتابه في فضائل أبيه (١٠٠٩)

في كتابه في فضائل أبيه (١٠٠٩) في كتابه في فضائل أبيه (١٠٠٩) في كتابه في فضائل أبيه (١٠٠٩)

في كتابه في فضائل أبيه (١٠٠٩) في كتابه في فضائل أبيه (١٠٠٩) في كتابه في فضائل أبيه (١٠٠٩)

في كتابه في فضائل أبيه (١٠٠٩) في كتابه في فضائل أبيه (١٠٠٩) في كتابه في فضائل أبيه (١٠٠٩)

في كتابه في فضائل أبيه (١٠٠٩) في كتابه في فضائل أبيه (١٠٠٩) في كتابه في فضائل أبيه (١٠٠٩)

في كتابه في فضائل أبيه (١٠٠٩) في كتابه في فضائل أبيه (١٠٠٩) في كتابه في فضائل أبيه (١٠٠٩)

في كتابه في فضائل أبيه (١٠٠٩) في كتابه في فضائل أبيه (١٠٠٩) في كتابه في فضائل أبيه (١٠٠٩)

في كتابه في فضائل أبيه (١٠٠٩) في كتابه في فضائل أبيه (١٠٠٩) في كتابه في فضائل أبيه (١٠٠٩)

في كتابه في فضائل أبيه (١٠٠٩) في كتابه في فضائل أبيه (١٠٠٩) في كتابه في فضائل أبيه (١٠٠٩)

في كتابه في فضائل أبيه (١٠٠٩) في كتابه في فضائل أبيه (١٠٠٩) في كتابه في فضائل أبيه (١٠٠٩)

في كتابه في فضائل أبيه (١٠٠٩) في كتابه في فضائل أبيه (١٠٠٩) في كتابه في فضائل أبيه (١٠٠٩)

في كتابه في فضائل أبيه (١٠٠٩) في كتابه في فضائل أبيه (١٠٠٩) في كتابه في فضائل أبيه (١٠٠٩)

في كتابه في فضائل أبيه (١٠٠٩) في كتابه في فضائل أبيه (١٠٠٩) في كتابه في فضائل أبيه (١٠٠٩)

في كتابه في فضائل أبيه (١٠٠٩) في كتابه في فضائل أبيه (١٠٠٩) في كتابه في فضائل أبيه (١٠٠٩)

في كتابه في فضائل أبيه (١٠٠٩) في كتابه في فضائل أبيه (١٠٠٩) في كتابه في فضائل أبيه (١٠٠٩)

في كتابه في فضائل أبيه (١٠٠٩) في كتابه في فضائل أبيه (١٠٠٩) في كتابه في فضائل أبيه (١٠٠٩)

في كتابه في فضائل أبيه (١٠٠٩) في كتابه في فضائل أبيه (١٠٠٩) في كتابه في فضائل أبيه (١٠٠٩)

في كتابه في فضائل أبيه (١٠٠٩) في كتابه في فضائل أبيه (١٠٠٩) في كتابه في فضائل أبيه (١٠٠٩)

الفلق

١- **أعوذ** : إعلم أن لفظة (عاذ) وما تصرف منها تدل على التحرر والتحصن والنجاة ، و حقيقة معناها : الهروب من شيء تخافه الى من يعصمك منه ، ولهذا يسمى المستعاذ به : معاذاً كما يسمى ملجأ ووزراً ، وفي الحديث : أن ابنة الجبوت لما أدخلت على النبي صلى الله عليه وسلم فوضع يده عليها ، قالت : أعوذ بالله منك ، فقال لها : لقد عذبت بسعاذ ، ألحقى بأهلك ، فمعنى أعوذ : ألتجئ و أعتصم وأتحرر ، وفي أصله قولان : (١) أنه مأخوذ من الستر (٢) أنه مأخوذ من لزوم المجاورة ، فأما من قال : أنه مأخوذ من الستر فقال : العرب تقول للبيت الذي في أصل الشجرة السقى قد استتر بها : عُوذٌ ، بضم العين وتشديد الواو ونحوها فكأنه لما عاذ بالشجرة واستتر بأصلها وظلها سمّوه : عُوذاً ، فكذلك العاخذ قد استتر من عدوه بمن استعاذ به منه واستقبح به منه ، ومن قال : هو لزوم المجاورة قال : العرب تقول للحجر إذا لصق بالقطم فلم يتخلص منه : عُوذٌ ، لأنه اعتصم به واستمسك به ، فكذلك العاخذ قد استمسك بالمستعاذ به واعتصم به ولزمه .

(بدائع الفوائد ٢/٢٠٠)

المستعاذ به هو الله وحده رب الفلق ورب الناس ، ملك الناس ، له الناس ، الذي لا ينبغي الاستعاذة إلا به ، ولا يستعاذ بأحد من خلقه ، بل هو الذي يعيذ المستعيزين ويعصمهم ويمنعهم من شر ما استعاذوا من شره ، وقد أخبر تعالى في كتابه عن من استعاذ بخلقه أن استعاذته زادت طغيانا ورهقا ، فقال حكاية من مؤمن الجن : والله كان رجال من الإنس يعوذون برجال من الجن فزادهم رهقا (الجن ٧٢/٤) جاء في التفسير : أنه كان الرجل من العرب في الجاهلية إذا سافر

فأعسى في أرض قفر قال : أعوذ بيسيد هذا الوادي من شر سفهاء قومه ، فيبيت
في أمن وجوار منهم حتى يصبح أي : فراد الإنسان المجنباً باستعاذتهم بسادتهم
وهقاً أي : طغياناً وإشفاقاً وشراً ، والرهق في كلام العرب : الإلش وغشيان المحارم
فرادوهم بهذه الاستعاذة غشياناً لما كان محظوراً من الكبر والتعظيم فظنوا أنهم
سادوا الناس والمجن .

واحتج أهل السنة على المعتزلة في أن كلمات الله غير مخلوقة ، بأن النبي
صلى الله عليه وسلم استعاذ بقوله : أعوذ بكلمات الله التامات ، وهو صلى الله عليه
وسلم لا يستعيز بمخلوق أبداً ، وتفسير ذلك قوله : أعوذ برضاك من سخطك وبِعفوِكَ
من عقوبتك ، فدل على أن رضاه وعفوه من صفاته وأنه غير مخلوق ، وكذا الك
قوله : أعوذ بعزة الله وقدرته ، وقوله : أعوذ بنور وجهك الذي أشرقت له
الظلمات ، وما استعاذ به النبي صلى الله عليه وسلم غير مخلوق ، فانه لا يستعيز
إلا بالله تعالى أو صفة من صفاته (بدائع الفوائد ٢/ ٧٠٣ ، ٢٠٤)

١- الفلق : الصبح ، يقال : هو أبين من فلق الصبح ، وسمي فلماً لأنه

يفلق عنه الليل ، وهو فعل بمعنى مفعول ، قال الزجاج : لأن الليل ينفلق عنه الصبح
ويكون بمعنى مفعول ، يقال : هو أبين من فلق الصبح ومن فرق الصبح ، وهذا قول جمهور
المفسرين (فتح القدير ٥/ ٥١٩)

وقد قيل في وجه تخصيص الفلق بالإيمان إلى أن القادر على إزالة هذه الظلمات
الشديدة عن كل هذا العالم يقدر أيضاً أن يرفع عن العائذ كل ما يخافه ويخشاه ،
وقيل : طلوع الصبح كالمثال لمجيئ الفرح ، فكما أن الإنسان في الليل يكون منتظراً
لطلوع الصبح ، كذلك الخائف يكون مترقباً لطلوع صبح النجاة (فتح القدير ٥/ ٥١٩)
واعلم أن الخلق كله فلق ، وذلك أن فلماً فعل بمعنى مفعول كقبض وسلب
وقنص بمعنى : مقبوض ومسلوب ومقنوص ، قال الله عز وجل : فائق المحبة والنوى والأغنام
(٩٥/٤) وقال : فائق الإصباح (الأغنام ٩٤/٤) وهو فائق الأرض عن النساء والجبال

عن العيون والسحاب عن المطر والأرحام عن النجاسة والظلام عن الصباح ،
وليس الصبح المتصدع عن الظلمة فلما وفرقا ، يقال : هو أبيض من فرق الصبح ونلقه
(بدائع الفوائد ٢/ ٢٢٠ ٢٢١)

٢- من شر ما خلق : فان قيل : فهل في (ما) ها هنا عموم ؟ قلت :
فيها عموم تقييدي وصفي ، لا عموم إطلاقي ، والمعنى : من شر كل مخلوق فيه شر ،
فعمومها من هذا الوجه ، وليس المراد الاستعاذة من شر ما خلقه الله ، فان
الجنة وما فيها ليس فيها شر ، وكذلك الملكة والأنبياء فانهم خير محض ، والخير
كله حصل على أيديهم ، فالاستعاذة من شر ما خلق تعم شر كل مخلوق فيه شر .
(بدائع الفوائد ٢/ ٢١٥)

٣- ومن شر غاسق إذا وقب : هذا خاص بعد عام ، وقد قال
أكثر المفسرين انه الليل ، قال ابن عباس : الليل إذا أقبل بظلمته من
المشرق ودخل في كل شيء وأظلم ، والوقوب : الدخول ، وهو دخول الليل
بغروب الشمس ، وقال مقاتل : يعني : ظلمة الليل إذا دخل سواده في ضوء النهار ،
وفي تسمية الليل غاسقا قول آخر : أنه من البرد ، والليل أبرد من النهار ، والنسق :
البرد ، وعليه حل ابن عباس قوله تعالى : هذا فليذوقوه حميم ونسق (ص ٥٧/ ٣٨) ،
وقوله : لا يذوقون فيها بردا ولا شرابا إلا حميما ونسقا (النبا ٧٨ / ٢٥) قال :
هو الزمهرير يجرقهم ببرده كما تحرقهم النار بحرها ، وكذلك قال جاهد ومقاتل ،
ولا تنافي بين قولين ، فان الليل يارد مظلم ، فمن ذكر برده فقط أو ظلمته فقط فقد
اقتصر على أحد وصفيه ، والظلمة في الآية أنسب لمكان الاستعاذة ، فان شر الذي
يناسب الظلمة أولى بالاستعاذة من البرد الذي في الليل ، ولهذا استعذرب النطق
الذي هو الصبح والنور من شر الغاسق الذي هو الظلمة ، فناسب الوصف المستعاذ به
لمعنى المطلوب بالاستعاذة (بدائع الفوائد ٢/ ٢١٩)

فان قيل : فما تقولون فيما رواه الترمذي من حديث ابن أبي ذئب عن

المحدث بن عبد الرحمن عن أبي سلمة عن عائشة رضي الله عنها قالت : أخذ
النبي صلى الله عليه وسلم بيدي فنظر إلى القمر فقال : يا عائشة استعيزي
بالله من شر هذا ، فإن هذا هو الغاسق إذا وقب ، قال الترمذي : هذا حديث حسن
صحيح ، وهذا أول من كل تفسير ، فبتعين المصير إليه -

قيل : هذا التفسير حق ، ولا يناقض التفسير الأول ، بل يوافقه ويشهد
بصحته ، فإن الله تعالى قال : وجعلنا الليل والنهار آيتين فحونا آية الليل
وجعلنا آية النهار مبصرة (الاسراء ١٧ / ١٢) فالقمر هو آية الليل وسلطانه
فهو أيضاً غاسق إذا وقب ، كما أن الليل غاسق إذا وقب ، والنبي صلى الله عليه
وسلم أخبر عن القمر بأنه غاسق إذا وقب ، وهذا خبر صدق وهو أصدق الخبر
ولم ينف عن الليل اسم الغاسق إذا وقب ، وتخصيص النبي صلى الله عليه وسلم
له بالذكر لا ينفي شمول الاسم لغيره ، ونظير هذا قوله في المسجد الذي أُسِّمَ
على النقي ، وقد سئل عنه فقال : هو مسجدي هذا ، ومعلوم أن هذا لا ينفي
كون مسجد قبا مؤسساً على النقي مثل ذلك ، ونظيره أيضاً قوله في علي و
فاطمة والحسن والحسين رضي الله عنهم : اللهم هؤلاء أهل بيتي ، فإن هذا
لا ينفي دخول غيرهم من أهل بيته في لفظ أهل البيت ، ولكن هؤلاء أحق من
دخل في لفظ أهل بيته ، ونظير هذا قوله : ليس المسكين بهذا الطواف الذي شره
اللقمة واللحمتان والتمرة والتمرتان ولكن المسكين الذي لا يسأل الناس شيئاً
ولا يظن له فيتصدق عليه ، وهذا لا ينفي اسم المسكنة عن الطواف بل ينفي اختصاص
الاسم به ، وتناول المسكين لغير السائل أولى من تناوله له ، ونظير هذا قوله :
ليس الشديد بالصّرع ولكن الذي يملك نفسه عند الغضب ، فانه لا يقتضي نفي
الاسم عن الذي يصرع السّجال ولكن يفتنى أن ثبوته لذى يملك نفسه عند
الغضب أولى ، ونظيره الغسق والوقوف وأمثال ذلك ، فكذلك قوله في القمر :
هذا هو الغاسق إذا وقب ، لا ينفي أن يكون الليل غاسقاً بل كلاهما غاسق -

٤ - ومن شرافات في العقد : هذا الشر هو شر السحر ،

فإن الشرافات في العقد من السواحر المذوق يعقدن الخيوط وينفضن على كل عقدة حتى ينعقد ما يردن من السحر ، والنفت هو : النفخ مع ريق ، وهو دون التفل ، وهو مرتبة بينهما ، والنفت فعل الساحر ، فإذا تكيفت نفسه بالخبث والشر الذي يريده بالمسحور ، ويستعين به بالأرواح الخبيثة نفخ في تلك العقد نفخاً معه ريق ، فيخرج من نفسه الخبيثة نفس مماذج للشر ، والأذى مماذج لذلك ، وقد تساعد لذلك هو والروح الشيطانية على أذى المسحور فيقع فيه السحر بإذن الله ، الكونى القدرى لا الأمر الشرعى . (بدائع الفوائد ٢/ ٢٢١) فان قيل : فالسحريكون من المذكور والإثبات ، فلم خص الاستعاذة من الإثبات دون المذكور ؟

قيل : إن هذا خرج على السبب الواقع ، وهو أن بنات لبديد بن أعصم سحر النبي صلى الله عليه وسلم ، هذا جواب أبي عبيدة وغيره وليس هذا بسديد ، فإن الذى سحر النبي صلى الله عليه وسلم هو لبديد بن أعصم كما جاء في الصحيح ، والجواب المحقق : أن الشرافات هنا هي الأرواح والأنفس الشرافات لا النساء الشرافات ، لأن تأثير السحر إنما هو من جهة الأنفس الخبيثة والأرواح الشريرة وسلطانها إنما يظهر منها ، فلم يذكر الشرافات هنا بلفظ التأنيث دون التذكير ، والله أعلم (بدائع الفوائد ٢/ ٢٢١ ، روح المعاني ٣٠/ ٢٣٥)

وقيل في الآية : المراد بالنفت في العقد : إبطال عزائم الرجال بالخييل ، مستعار من تليين العقد بنفت الرقيق يستهل حلها ، وهو يقرب من بدع التفاسير (روح المعاني ٣٠/ ٣٢٤)

٥ - ومن شر حاسد إذا حسد : يندفع شر الحاسد عن المحسود بعشرة أسباب

(١) التقوى بالله من شره والتحصن به واللجوء إليه ، وهو المقصود بهذه السورة ، والله تعالى سميع لاستعاذته ، عليم بما يستعين منه ، والسمع هنا

المراد به : سمع الإجابة ، والسمع العام ، فهو مثل قوله : سمع الله لمن حمده ،
وقول الخليل عليه السلام : يا ربّني لَسَمِعِ الدعاء (إبراهيم ٣٩/١٤)

(٢) تقوى الله وحفظه عند أمره ونهيهِ ، فمن اتقى تولى الله حفظه ولم
يكله إلى غيره ، قال الله تعالى : وإن تصبروا وتتقوا لا يضرّكم كيدهم شيئاً
(آل عمران ١٢١/٣)

(٣) الصبر على عدوّه وأن لا يقاتله ولا يشكوهُ ، ولا يحدث نفسه بأذاه
أصلاً ، قال الله تعالى : ومن عاقب بمثل ما عوقب به ثم بغى عليه لينصرته
الله (الحج ٢٢/٤٠)

(٤) التوكل على الله تعالى : ومن يتوكل على الله فهو حسبه (الطلاق ٣/٦٥)
(٥) فراغ القلب من الاشتغال به والفكر فيه ، وأن يقصد أن يحجوه من
باله كلّما خطر له ، فلا يلتفت إليه ولا يخافه ولا يملأ قلبه بالفكر فيه .

(٦) الإقبال على الله والإخلاص له ، وجعل محبته ورضاه والإجابة إليه
في محلّ خواطر نفسه وأما غيرها ، تدبّ فيها ، تدبّ تلك الخواطر شيئاً فشيئاً ،
حتى يقهرها ويغمرها ويذهبها بالكلية .

(٧) تجريد التوبة إلى الله تعالى من الذنوب التي سلّطت عليه أعدائه ،
فإن الله تعالى يقول : وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم (الشورى ٣٠/٤٢)
(٨) الصدقة والإحسان ما أمكنه ، فإن لذلك تأثيراً عجيباً في دفع البلاء
ودفع العين وشر الحاسد .

(٩) إطفاء نار الحاسد والباعى والمؤذى بالإحسان إليه ، قال الله تعالى :
اولئك يؤتون أجرهم مرتّين بما صبروا ويدرؤن بالحسنة السيئة
ومما زدناهم يفتقون (القصص ٥٤/٢٨) وقال : ولا تستوى الحسنة
ولا السيئة ادفع بالتي هي أحسن فاذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي
حميم ، وما يلقاها إلا الذين صبروا وما يلقاها إلا ذو حظّ عظيم (فصلت ٣٤/٣٥)

(١٠) تجريد التوحيد والترحل بالذكر في الأسباب إلى المسبب العزيز الحكيم ، والعلم بأن هذه آلات بمنزلة حركات الرياح ، وهي بيد محركها وفاطرها وبارئها ، ولا تضر ولا تنفع إلا بآذنه ، فهو الذي يحسن عيدها ، وهو الذي يصرفها عنه وحده ، لا أحد سواه ، قال تعالى : وإن يمسك الله بضرب فلان لئلا هو وإن يردك بخير فلا راد لفضله (يونس ١٠/١٠٧) (بدائع الفوائد ٢/٢٣٨ - ٢٤٥)

الناس

١- **رب الناس** : أى : مالك أمورهم ومربيهم بإضافة ما

يصلحهم ودفع ما يضرهم (روح المعاني ٣٠/٣٢٩) والناذر أنه رب الناس ،
وان كان رباً لجميع الخلق لأمرين (١) لأن الناس معظومون ، فأعلم بذكرهم
أنه رب لهم وإن عظموا (٢) لأنه أمر بالاستغاثة من شرهم ، فأعلم بذكرهم
أنه هو الذى يقيذ منهم (الطربى ٢٠/٢٦٩)

٢- **ملك الناس** : عطف بيان ، جيئ به لبيان أن تربيته تعالى

إياهم ليست بطريق تربية سائر الملوك لما تحت أيديهم من ممالكهم ،
بل بطريق الملك الكامل والمتصرف الكلى والسلطان القاهر (روح المعاني ٣٠/٣٢٩)
وانما قال : ملك الناس وإله الناس لأن فى الناس ملوكاً يذكر أنه ملكهم

وفى الناس من يعبد غيره ، فذكر أنه إلههم ومعبودهم ، وأنه الذى يجب أن
يُستعاذ به ويُلجأ إليه دون الملوك والعظماء (الطربى ٢٠/٢٧١)

٣- **الوسواس الخناس** : الخنوس : الإنقباض والإستغفاء ، خنس

من بين أهمله يخنس ويخنس خنوساً وخناساً والخنس : انقبض وتأخر ،
وقيل : رجع ، وأخفسه غيره : خلفه ومضى عنه ، وفى الحديث : الشيطان
يوسوس إلى العبد فإذا ذكر الله خنس أى : انقبض منه وتأخر ، قال الأزهري :
وكذا قال الفراء فى قوله تعالى : من شر الوسواس الخناس ، قال : إبليس
يوسوس فى صدور الناس ، فإذا ذكر الله خنس ، وقيل : إن له رأساً كرس
الحية يجثم على القلب ، فإذا ذكر الله تنحى وخنس ، وإذا ترك ذكر الله رجع

إلى القلب يوسوس (لسان العرب ٧/٧١ : النهاية ٢/٣)

يعنى من شر الشيطان ، والمعنى : من شرذى الوسواس ، فحذف المضاف ،
قاله الفراء ، وهو بفتح الواو وبمعنى الاسم ، أى : المؤشوس ، وبكسر الواو :
المصدر ، يعنى الوسوسة ، وكذا الزلزال والزلزال ، والوسوسة : حديث
النفسي (القطري ٢٠ / ٢٩١)

قاعدة ثالثة : فيما يعتصم به العبد من الشيطان وليستدفع به
شره ، ويحترز به منه ، وذلك عشرة أسباب :

(١) الاستعاذة بالله من الشيطان الرجيم ، وإقامينزغك من الشيطان نزغ
فاستعذ بالله . (الأعراف ٧ / ٢٠٠ ، فصلت ٤١ / ٣٦)

(٢) قراءة هاتين السورتين أى : الفلق والناس ، فإن لهما تأثيراً عجيباً فى
الاستعاذة بالله من شره ودفعه والتحصن منه ، ولهذا قال النبى صلى الله
عليه وسلم : ما تتعوذ المتعوذون بمثلهما .

(٣) قراءة آية الكرسي كما فى الصحيح من حديث محمد بن سيرين عن أبى هريرة
رضى الله عنه .

(٤) قراءة سورة البقرة ، فى الصحيح من حديث سهيل بن عبد الله عن أبى هريرة
رضى الله عنه : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : لا تجعلوا بيوتكم
قبوراً ، وإن البيت الذى تقرأ فيها البقرة لا يدخله الشيطان .

(٥) خاتمة سورة البقرة ، فقد ثبت فى الصحيح من حديث أبى مسعود الأنصارى
رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : من قرأ الآيتين
من آخر سورة البقرة فى ليلة كفتاه .

(٦) أول سورة حم المؤمن إلى قوله : الیه المصير مع آية الكرسي ، كما فى
الترمذى من حديث عبد الرحمن بن أبى بكر عن ابن أبى مليكة عن زارة
ابن مصعب عن أبى سلمة عن أبى هريرة رضى الله عنه .

(٧) لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير ،

مائة مرة ، كما في الصحيحين من حديث شمس مولى أبي بكر عن أبي صالح
عن أبي هريرة رضي الله عنه -

(٨) كثرة ذكر الله عز وجل ، وهو من أنفع الحروز من الشيطان -

(٩) الوضوء والصلاة ، وهذا من أعظم ما يتحزبه منه ، ولا سيما عند توارد قوة
الغضب والشهوة ، فإنها نار تغلى في قلب ابن آدم -

(١٠) إمساك فضول النظر والكلام والطعام ، ومخالطة الناس ، فإن الشيطان يتسلط

على ابن آدم وينال منه غرضه من هذه الأبواب الأربعة ، فإن فضول النظر

يبدع إلى الاستحسان ، ويوقوع صورة المنظور إليه في القلب ، والاشتغال به ،

والفكرة في الظفر به ، فمبدأ الفتنة من فضول النظر :

كل الحوادث مبداها من النظر

ومعظم التار من مستصغر الشر

كم نظرة فتكت في قلب صاحبها

فتلك السهام بلك قوس ولا وتر

(بدائع الفوائد ٢/ ٢٦٧ - ٢٧١)

لطيفة : كرر لفظ الناس خمس مرة ، لأن المراد بالناس الأول : الأطفال ، و

معنى الربوبية يدل عليه ، وبالثاني : الشباب المهاجرون في سبيل الله ، ولفظ الملوك

المنبئ عن السياسة يدل عليه ، وبالثالث : الشيوخ المنقطعون إلى الله تعالى ،

ولفظ الإله المنبئ عن العبادة يدل عليه ، وبالرابع : الصالحون ، إذ الشيطان

حريص على عداوتهم ، وبالخامس : المفسدون لعطفه على معوذه منه .

(المطهرى ١٠/ ٣٧٩)



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

أُحَمِّدُ اللَّهَ وَلَهُ الشُّكْرُ بِالتَّوْفِيقِ لِتَفْسِيرِ كِتَابِهِ الْعَزِيزِ، الَّذِي لَا يَذِلُّ مَنْ لَا ذِبَّ لَهُ وَلَا يَشْقَى،
فَإِذَا وَفَّقْتَنِي يَا إِلَهِي لِتَفْسِيرِ عِبَارَتِهِ، وَوَفَّقْتَنِي عَلَى مَا شِئْتَ مِنْ مَضْمُونِ إِشَارَتِهِ، فَاجْعَلْنِي
يَا رَبِّاهُ مِمَّنْ يَنْتَصِمُ بِحُكْمِ حَبْلِهِ وَيَتَمَسَّكُ بِعُرْوَتِهِ الْوُثْقَى، وَيَأْوِي مِنَ الْمُتَشَابِهَاتِ إِلَى حُرُزِ
مَعْقَلِهِ، وَيَسْتَظِلُّ بِظِلَالِ كَهْفِهِ الْأُوقَى، وَأُعْذِبْنِي بِهِ مِنْ دَسَاوِسِ الشَّيْطَانِ وَمَكَائِدِهِ،
وَمِنْ الْإِرْتِكَابِ بِشَبَاكِ غُرُورِهِ وَمَصَائِدِهِ، وَاجْعَلْ لِي وَسِيلَةً إِلَى أَشْرَفِ مَنَازِلِ الْكَرَامَةِ،
وَسُلَامًا أَعْرِجُ فِيهِ إِلَى مَحَلِّ السَّلَامَةِ.

وَيَا رَبِّ لِمَ أَزِلُ أَسْوَدَ الْأَوْبَاقِ فِي تَحْرِيرِ مَا أَفَضْتَ عَلَيَّ حَقَّ بَيِّنٍ نَفْخَةِ عَمْرِى الْمُشِيبِ
وَأَجِدُّ النَّظَرَ بِتَحْدِيقِ الْأَحْدَاقِ فِيمَا أَفَضَيْتَ بِهِ مِنَ الْمَشَاحِجِ إِلَى حَقِّ بَلِي بِرُودِ شَبَابِي الْقَشِيبِ
فَاللَّهُمَّ هَبْ لِي مِنْ يَوْمِ الْمَعَادِ، وَأُعْذِنِي بِلُطْفِكَ، وَأُعْذِنِي بِنِعْمَتِكَ، وَوَفَّقْنِي لِمَتَى هُوَ
أَزْكَى، وَاسْتَعْلِنِي بِمَا هُوَ أَرْضَى، وَاسْلُكْ لِي الطَّرِيقَةَ الْمُنْتَهَى، وَذَوِّدْنِي مَطِيَّاتِ الْهَدَى
وَزَوِّدْنِي بِأَقْيَاتِ التَّقَى.

إِلَهِي: لَا تُعَذِّبْنِي فِرَاقَ

مَقَرِّ بَالِذَى قَد كَانَ مَوْ

فَكَمُ مِنْ ذَلَّةٍ فِي الْخَطَايَا

عَفَرْتُ وَأَنْتَ ذُو فَضْلٍ وَمَنْ

يُظْلِمُ النَّاسَ بِي خَيْرًا وَإِنِّي

لَشَرُّ النَّاسِ إِنْ لَمْ تُعَفِّ عَنِّي

وَمَا لِي حِيلَةٌ إِلَّا رَحِيائُ

لِعَفْوِكَ إِنْ عَفَوْتَ وَحَدَّ

وَالْحَمْدُ لِلَّهِ أَوَّلًا وَآخِرًا، وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَأَهْلِيهِ وَسَلَّمَ.

أَبُو سَلَمَانَ

سَرَايُ الْإِسْلَامِ حَنِيفَ

فهرس

١١٣	القارعة	٧٧	الانشقاق	٥	الملك
١١٤	التكاسر	٧٩	البروج	٨	القلم
١١٧	العصر	٧٤	الطارق	٢٠	الحاقه
١١٨	المهمزه	٧٦	الاعلى	٢٢	المعارج
١١٩	الفيل	٧٧	الغاشيه	٢٤	نوح
١٢٠	قريش	٧٨	الفجر	٢٦	جن
١٢١	الماعون	٨٣	البلد	٢٩	المزمل
١٢٢	الكوشر	٨٦	الشمس	٣٢	المدر
١٢٤	الكافرون	٨٨	الليل	٣٨	القيامة
١٢٧	النصر	٩١	الضحى	٤١	الدهر
١٢٨	الذهب	٩٥	الم نشرح	٤٤	المرسلات
١٣٠	الاخلاص	٩٤	اليتين	٤٨	النباء
١٣٢	المعوذتين	١٠٢	العلق	٥١	النازعات
١٤٠	الفلق	١٠٥	القدس	٥٤	عبس
١٤٧	الناس	١٠٦	البينة	٥٦	التكوير
		١٠٩	الزلزال	٦٢	الانفطار
		١١٠	العاديات	٦٣	المطففين

دکستان پریس سرگودھا فون 61036